Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

The features of social care in Hijaz during the Mamluk age

Shahem Faleh Al- Sultan
Lect./ Department of History / College of Arts /
University of Mosul

Article Information

Article History:
Received January 31, 2024
Reviewer March 11 .2024
Accepted March 23, 2024
Available Online September1, 2024

Keywords:
Care
Society
Mamluks
Endowment

Correspondence:
Shahem Faleh Al- Sultan
shahim.f.h@uomosul.edu.iq

Abstract

An important historical era passed through the country of Hejaz after the fall of the Abbasid Caliphate. The country was neglected from an administrative and material standpoint. The region was engaged in wars and strife before the fall of the caliphate between the Fatimid state and the Abbasid Caliphate. It lasted for more than two centuries, during which the country of Hejaz was subjected to neglect and the region suffered from cultural stagnation, which contributed to An increase in the number of poor and needy and a lack of endowments and philanthropy projects, and thus an increase in need and poverty due to the lack of aid and assistance that the country of Hijaz was receiving, especially the Two Holy Mosques, which was coming from the caliphs and the princes of Hajj.

Which greatly exposed the Hejaz region to the scarcity of livelihood for most segments of society and increased the rate of extreme poverty among segments of society. After the fall of the Fatimid Caliphate(567 AH - 1000 AD), good people, including princes and wealthy people, took the initiative to improve the conditions of Muslims and provide aid after a group of wealthy people turned to him with some charitable works to restore life. generous to the lands of the Hijaz, especially the Two Holy Mosques of Mecca and Medina,

With the emergence of the Mamluk state in Egypt in the year(648 AH - 1250 AD), their authority extended to the Levant and their repelling of the Mongols in the Battle of Ain Jalut (1), which contributed to strengthening their authority and unifying the Levant and Egypt. Then they moved to embrace the country of the Hijaz to give full legitimacy to the Mamluk authority and revive the Abbasid Caliphate, which contributed The political situation stabilized and the era of the Mamluk sultans began. The Hijaz region revived and its residents and those coming to it multiplied after the sultans of the kingdoms and their princes gave the country of Hijaz every care and attention.

Through their material and moral efforts, they were able to provide social care in order to gain reward and consolidate their religious authority in the lands of the Hijaz (the Two Holy Mosques of Mecca and Medina). The lands of the Hijaz were among the countries with the largest and most interest by the Mamluks from the rest of the states to strengthen their authority and give it legitimacy after the

attempt to revive the Abbasid Caliphate (2) by Sultan Al-Zahir Baibars

DOI: 10.33899/radab.2024.146486.2072©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

ملامح الرعاية الاجتماعية في بلاد الحجاز في العصر المملوكي

شهم فالح السلطان *

المستلخص

تعد الرعاية الاجتماعية في العصر المملوكي في بلاد الحجاز ذات اهمية كبيرة لما تضمنته هذه الحقبة من راعية اجتماعية و اهتمام بالاوقاف فانتعشت منطقة الحجاز وتكاثر قاطنوها والقادمون اليها بعد ان اولى سلاطين المماليك وأمراؤهم بلاد الحجاز كل رعاية واهتمام واستطاعوا بجهودهم المادية والمعنوية تقديم الرعاية الاجتماعية لنيل الثواب وترسيخ سلطتهم الدينية في بلاد الحجاز (الحرمين مكة والمدينة) فكانت بلاد الحجاز من ضمن البلاد الاوسع والاكثر اهتماما من قبل المماليك من بقية الولايات لتعزيز سلطتهم واضفاء الشرعية عليها بعد محاولة احياء الخلافة العباسية، وقد تناولت هذه الدراسة العصر المملوكي من(648ه الى 923ه – 1250م الى 1517م)

الكلمات المفتاحية : العصر المملوكي ،الرعاية، الاجتماعية ، الحجاز، ملامح

المقدمة

لقد مرت حقبة تاريخية مهمة على بلاد الحجاز بعد سقوط الخلافة العباسية واهملت البلاد من الناحية الادارية والمادية فقد انهمكت المنطقة بحروب وفتن قبل سقوط الخلافة بين الدولة الفاطمية والخلافة العباسية استمرت اكثر من قرنيين من الزمان تعرضت فيها بلاد الحجاز الى الاهمال وعانت المنطقة من الركود الحضاري الذي اسهم في زيادة عدد الفقراء والمحتاجين وقلة الاوقاف ومشاريع البر والخير وبالتالي زيادة الحاجة والفاقة بسبب قلة الاعانات والمساعدات التي كانت تحصل عليها بلاد الحجاز وخصوصا الحرمين أعني الاعانات التي كانت تأتي من الخلفاء وامراء الحج مما عرض اقليم الحجاز بصورة كبيرة الى شضف العيش لمعظم فئات المجتمع وزيادة نسبة الفقر المدقع بين فئات المجتمع ، وبعد سقوط الخلافة الفاطمية(567هـ -1000م) بادر اهل الخير من الامراء والاثرياء بتحسين احوال المسلمين وتقديم الاعانات بعد ان التفت اليه طائفة من الاثرياء ببعض الاعمال الخيرية لاعادة الحياة الكريمة الى بلاد الحجاز وبالاخص الحرمين مكة والمدينة .

ومع ظهور دولة المماليك في مصر سنة(648هـ -1250م)وامتدت سلطتهم الى بلاد الشام وصدهم للمغول في معركة عين جالوت[1] اسهمت ذلك في تعزيز سلطتهم وتوحيد بلاد الشام ومصر ثم التوجه الى احتضان بلاد الحجاز لاضفاء الشرعية الكاملة للسلطة المملوكية واعادة احياء الخلافة العباسية ، التي أسهمت في استقرار الوضع السياسي ليبدأ عصر سلاطين المماليك ، فانتعشت منطقة الحجاز وتكاثر قاطنوها والقادمون اليها بعد ان اولى سلاطين المماليك وأمراؤهم بلاد الحجاز كل رعاية واهتمام .

واستطاعوا بجهودهم المادية والمعنوية تقديم الرعاية الاجتماعية لنيل الثواب وترسيخ سلطتهم الدينية في بلاد الحجاز (الحرمين مكة والمدينة) فكانت بلاد الحجاز من ضمن البلاد الاوسع والاكثر اهتماما من قبل المماليك من بقية الولايات لتعزيز سلطتهم واضفاء الشرعية عليها بعد محاولة احياء الخلافة العباسية [2] من قبل السلطان الظاهر بيبرس

المبحث الاول

اولا: تعريف الرعاية الاجتماعية :

الرعاية في اللغة :الرعاية من رعاه يرعاه ورعاية حفظه[3] ورعاية من مراعاة الحقوق وقال الفيرو آبادي [4] ورعايته لاحظته محسنا اليه واسترعاه اياهم استحفظه .

الرعاية في الاصطلاح: تعني الحفظ والمراقبة والعناية والاهتمام [5] كما تعني الكفالة أو المسؤولية الاجتماعية ، ويقال كل راع مسؤول عن رعيته بمعنى الواجب الاجتماعي والسلطة في تدبير الأمر[6] وهي مصطلح يعني تلك الرعاية الاجتماعية التي توفرها الجماعة للفرد أو هي الرعاية التي يكفلها المجتمع لأفراده [7] وتتمثل الرعاية الاجتماعية في الجهود التي تهدف الى توفير المعيشة للناس مع تحسين الاحوال الاجتماعية فهي تبغي الخير والرفاه لافراد المجتمع دون مقابل في تقديم الخدمات الاجتماعية [8] ومن التعاريف المهمة للرعاية الاجتماعية "بأنها نسق منظم من الخدمات والأجهزة التي يتم اعدادها لمساعدة الافراد والجماعات على

---

* مدرس دكتور / قسم التاريخ / كلية الآداب /جامعة الموصل

([1]) عين جالوت : معركة فاصلة بين المغول والمماليك بقيادة سيف الدين قطز وقعت في سنة 658هـ/1260م في مدينة بيسان قرب نابلس في فلسطين اوقفت الزحف المغولي ،ينظر حسن الامين : الغزو المغولي للبلاد الاسلامية من بغداد الى عين جالوت ، دار النهار للنشر، 1983م

([2]) احياء الخلافة العباسية:هي المدة التي تلت سقوط الخلافة العباسية في بغداد 656هـ/1258م فتأسست الخلافة في مصر بعد سيطرت المماليك ولتعزيز سلطانهم وإضفاء الشرعية لحكمهم عن طريق احياء الخلافة في مصر ينظر ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور .

([3]) ابن منظور : لسان العرب، (القاهرة ، دار المعارف) ج3، ص1677-1678 مادة رعى.

([4]) الفيروز آبادي : القاموس المحيط، (بيروت ،ط1) مؤسسة الرسالة (1406هـ/1986م)، ص1663، مادة رعى.

([5]) محمد أحمد الصالح : الرعاية الأجتماعية في الاسلام ، (الرياض،ط1) (1419هـ/1999م)، ص26.

([6]) ماهر ابو المعاطي : مقدمة في الرعاية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية (مصر -1999م) ،ص18.

([7]) الصالح : الرعاية الاجتماعية في الاسلام ،ص25

([8]) محمد سيد فهمي : مدخل الى الرعاية الاجتماعية من منظور اسلامي ،(مصر، 2000م) ، المكتب الجامعي الحديث، ص111.

تحقيق مستويات مناسبة للصحة والمعيشة ولتدعيم العلاقات الشخصية والاجتماعية بما يمكنهم من تنمية قدراتهم وتحسين مستوى حياتهم بما يتناسب مع احتياجاتهم ومجتمعاتهم[9]. للوصول الى الاستقرار الاجتماعي وتحقيق رفاهية الانسان في المجتمع.

ويرتبط مفهوم الرعاية الاجتماعية قديماً بما يقوم به الإنسان لمساعدة أخيه الإنسان في وقت الشدة ، إذا ما عجزت قدراته الشخصية عن مواجهته دون أن يكون لها أي تنظيم[10]. كما يمثل هذا المفهوم نظاماً مركباً من النظم الاجتماعية ، ويتضمن إطاراً واسعاً من المهن والأعمال التي تعنى بمساعدة الناس ، للوصول إلى الاستقرار الاجتماعي ، وتحقيق رفاهية الإنسان في المجتمع[11]. ويتميز هذا العمل بغلبة الوازع الديني أو الإنساني بهدف تحقيق التضامن الاجتماعي ، وتوفير الترابط والاتفاق والانسجام بين أفراد المجتمع [12]ومفهوم الرعاية الاجتماعية مفهوم قديم أجمعت الأديان السماوية على ضرورته حيث شجعت جميعها على اعتماد الإنسان على نفسه ، وإذا عجز ألزمت أسرته برعايته، وإن لم تستطع الأسرة رعاية أفرادها ، انتقل حق الرعاية على عاتق الأقرباء، ثم الخيرين والموسرين، ثم بعد ذلك تتحمل الدولة مسؤوليتها في تقديم الرعاية لمن هم في أمس الحاجة إليها[13] أما بالنسبة للعلاقة بين الرعاية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية ، فإن الرعاية الاجتماعية نشأت وتطورت في معناها ونظمها وبرامجها بتطور المجتمع الإنساني ذاته ، ومن خلال هذا التطور انبثقت الخدمة الاجتماعية كمهنة حديثة تسهم في تحقيق أهداف الرعاية الاجتماعية بشكل أفضل[14]

ثانيا: الإسلام والرعاية الاجتماعية

انطلقت تعاليم الإسلام في تحقيق الرعاية الاجتماعية للفرد والمجتمع من مبدأ تكريم الخالق سبحانه وتعالى لهذا المخلوق ، عندما قال في محكم التنزيل: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءَادَمَ.....) [15] فأوجب له بهذا التكريم الحياة الكريمة ، وحماه من كل ما من شأنه أن يؤدي إلى إذلاله ، أو يفقده الحاجات الأساسية التي توفر له أدنى درجة من العيش في المجتمع [16] ولتوفير التكريم وتأمين الحماية السابقة وضعت الشريعة الإسلامية الأسس الكفيلة بتحقيق الرعاية الاجتماعية المتكاملة للمجتمع وأفراده وفق معالم واضحة وأطر راسخة ، بينت من خلالها العلاقات العامة التي تربط بين الناس ، وحقوق بعضهم على بعض ، قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بعض....) [17]

وقال تعالى: (وَتَعَاوَنُوعَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...) [18]كما حث الإسلام على الإنفاق في وجوه البر المختلفة وربطها بالإيمان ، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأخِرِ وَالْمَلَكَةِ وَالْكِتَبِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّابِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ....) [19] ، وقال:.... (والصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَوةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[20] .(كما وضع الإسلام مصادر مالية لتحقيق موارد ثابتة للرعاية الاجتماعية ، منها ؛ الزكاة ، والوقف والإرث والوصايا ، والصدقات المختلفة ، وغيرها [21] . فالزكاة- مثلاً- من الموارد المستمرة لدعم الرعاية الاجتماعية[22] كما أنها توثق روابط الألفة والمحبة بين المسلمين وتحيي بواعث الإخاء والود بين أفراد الجماعة وتجعل المناخ النفسي مناسباً وملائماً للتنمية والازدهار في ظل سلام اجتماعي حقيقي[23] فقال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُون وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوةِ فَعِلُونَ) [24] ، وقال تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِرُهُمْ وَتُزَكِّيهم بها...) [25] أما الوقف ـ الذي يقوم على أساس حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة لجهات الخير والبر- فهو لون من ألوان الرعاية التي لم يسبق إليه نظام قبل الإسلام[26] وهو يستند إلى قول رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) [27].(وتتميز الرعاية الاجتماعية في الدين الإسلامي بخصائص وتشريعات عديدة أكدتها تعاليمه من خلال مصادر تشريعه ومنها ؛

([9]) أبو المعاطي: مقدمة في الرعاية الاجتماعية من منظور اسلامي ، ص20.
([10]) ماهر ابو المعاطي : مقدمة في الرعاية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية ،ص18
([11]) محمد سيد فهمي :مدخل الر الرعاية الاجتماعية ، ص16
([12]) ماهر ابو المعاطي : مقدمة في الرعاية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية، ص19
([13]) مختار ابراهيم عجوبة : الرعاية الاجتماعية واثرها على مداخل الخدمة الاجتماعية المعاصرة ، ص2،الرياض ط1،دارالعلوم 1410هـ/1990م
([14]) صالح بن عبد الله بن حميد :الرعاية الاجتماعية في الاسلام ،ص7
([15]) سورة الاسراء ،اية (70)
([16]) منبر حميد البياتي :النظم الاسلامية ،ص211،الاردن ،ط1،دار وائل 2006
([17]) سورة التوبة ، اية (71)
([18]) سورة المائدة ،اية (2).
([19]) سورة البقرة ، اية (177).
([20]) سورة الحج ، اية (35).
([21]) محمد احمد صالح : الرعاية الاجتماعية في الاسلام ،ص57.
([22]) مصطفى احمد محمد حسان :الرعاية الاجتماعية في. الاسلام ، ص194-195، ابحاث ندوة الخدمة الاجتماعية في الاسلام ،ط1 القاهرة ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ،1417هـ-1996م.
([23]) عوف محمود الكفراوي: الاثار الاقتصادية والاجتماعية للانفاق العام في الاسلام ،ص30،الاسكندرية ،مؤسسة شباب الجامعة ،1983م.
([24]) سورة المؤمنون، اية (1-4).
([25]) سورة التوبة ، اية (103).
([26]) عبد العزيز الخياط: المجتمع المتكافل في الاسلام ،ص89-90، مؤسسة الرسالة 1401هـ-1981م.
([27]) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ،ج11/ص85، القاهرة ط1، المطبعة المصرية 1347هـ-1929م.

المساعدة والتعاون والإحسان إلى الجار وإكرام الضيف والإسعاف في حالات الجوع والعطش والتفريج عند نزول الجوائح وغيرها[28]

الجدير بالذكر أن إسعاد الفرد والجماعة ، وعمارة الأرض واستنباط خيراتها ، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها ، وحفظ نظام التعايش فيما بينهم من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، وهي تتفق بهذا مع الهدف العام للرعاية الاجتماعية والمنصب على جلب المصالح ودرء المفاسد فيما يتصل بشؤون الناس في علاقاتهم الاجتماعية[29]

المبحث الثاني

اولاً :أسباب تطور الرعاية الاجتماعية في المدينة في العصر المملوكي

يدرك المتتبع للأوضاع العامة في المدينة في أثناء العصر المملوكي[30] مدى تحسن الأحوال فيها إبان هذا العصر ، بعد أن وفّر لها السلاطين المماليك وغيرهم من الملوك والأمراء والموسرون حينذاك من الرعاية المتنوعة ما كان مفقوداً قبل ذلك العصر ، ذكر السيوطي- مثلاً- عن السلطان الظاهر بيبرس(٦٥٨- ٦٧٦ هـ/ ١٢٥٩- ١٢٧٧ م) [31] وأجرى على أهل الحرمين وطرق الحجاز ما كان انقطع في أيام غيره من الملوك ، كما صاحب ذلك العصر نقلة حضارية امتدت لمعظم مناحي الحياة ، بعد أن حظي المجتمع المدني آنذاك بخدمات متنوعة أسهمت في رعاية [32] أفراده ، ووفرت لهم حياة كريمة صورها ابن فرحون بقوله[33](الناس اليوم ملوك أو كالملوك ولا يشكرون الله تعالى ، بل غلب عليهم بطر النعمة حتى اشغل بعضهم بعضاً من شدة الحسد والبغضاء)

ولا شك أن هناك مجموعة من الأسباب التي أدت إلى تطور الرعاية الاجتماعية في المدينة إبان العصر المملوكي من هذه الأسباب ما هو مباشر ، ومنها ما هو غير مباشر ، ومن أبرز ذلك :

سعى سلاطين الدولة المملوكية في مصر بعد قيام دولتهم سنة(٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م) لضم بلاد الحجاز لسلطتهم ، رغبة في خدمة المقدسات فيها ، وإكساب حكمهم الشرعية اللازمة في نظر المسلمين ، وقد نجحوا في ذلك عندما تمت الدعوة للسلطان الظاهر بيبرس على منابر الحجاز في موسم حج سنة(٦٦١ هـ/ ١٢٦٢ م) [34] وقد انتهج حكام الدولة المملوكية أساليب شتى وطرائق مختلفة لتأكيد قيامهم بخدمة المقدسات في بلاد الحجاز ، منها ، قيام عدد من السلاطين بزيارة الحرمين الشريفين للحج وتفقد أحوالهما وإقرار الأوضاع في الإقليم ، ومن هؤلاء- مثلاً- السلطان الظاهر بيبرس الذي حج سنة(٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨ م)، والسلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي حج ثلاث مرات ؛ الأولى سنة (٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م)، والثانية سنة(٧١٩ هـ/ ١٣١٩ م)، والثالثة سنة(٧٣٢ هـ ١٣٣١ م)، والسلطان الأشرف قايتباي(٨٧٢- ٩٠١ هـ/ ١٤٦٧- ١٤٩٦ م) الذي حج ، ة سنة(٨٨٤ هـ). كما عبروا عن الاهتمام بشؤون الحجاز- كما سنرى- بالقيام بالكثير من أعمال البر والخير المختلفة في الحرمين الشريفين والطرق المؤدية إليها ، فضلا عن السعي لإقرار الأوضاع في هذا الإقليم .

كان لاجتياح المغول بلدان المشرق الإسلامي في النصف الأول من القرن السابع الهجري ، ثم قضائهم على الخلافة العباسية أثره في انعدام الأمن في هذه الأقاليم ، ومن ثم تركز طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب الذي كان يمر بهذه الأراضي- إلى البحر الأحمر ليجعل من مصر رابطاً قوياً لهذه التجارة ومركزاً مرموقاً لها. وقد واكب هذا التحول قيام دولة المماليك في مصر ، فحرص سلاطينها على استغلال هذه الفرصة لصالحهم ، وقد نجحوا في ذلك ، ليضيفوا لاقتصاد بلادهم النشط بموارده الزراعية مصدراً آخر أدى إلى زيادة دخلهم المادي. وكان السلاطين وكبار الأمراء ورجال الدولة ممن استفاد بالدرجة الأولى من هذا النشاط ، فجمعوا أموالا طائلة ، كما طال ذلك النشاط فئات أخرى من الأشخاص الذين وفقوا في الحصول على ثروات ضخمة ؛ سواء من المصريين ، أو غيرهم من أهل الحجاز والمقيمين فيه. ولا شك أن توفر المادة في أيديهم قد شجع محبي الخير منهم على بذل جزء منها على وجوه البر المختلفة ، وكانت أراضي الحرمين الشريفين خير فرصة لهم لتحقيق ذلك ، حيث مضاعفة الأجر ، ووجود الكثير من المستحقين للبذل والعطاء [35](طرأ في أوائل العصر المملوكي إدخال تنظيمات جديدة على خدمة الحرم النبوي ، فأصبح للخدام الموجودين في

([28])محمد احمد صالح : الرعاية الاجتماعية في الاسلام ،ص41-43.

([29]) عفاف ابراهيم الدباغ :المنظور الاسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية ،ص249-250،مكتبة المؤيد،ط1 (1415ه-1994م) الرياض.

([30]) قامت الدولة المملوكية في مصر على انقاض حكم الايوبيين سنة 648ه-1250م واستطاع حكام المماليك أن يثبتوا أقدامهم في الحكم بعد انتصارات على المغول والصليبيين وقد امتد حكمهم الى بلاد الشام والحجاز واجزاء من الجزيرة الفراتية، كما خضعت لهم بلاد النوبة وقد ازدهرت في عصر المماليك الكثير من الجوانب الحضارية ولاسيما حركة التجارة والحياة الثقافية والعمرانية وينقسم العصر المملوكي إلى مرحلتين ؛ الأولى مرحلة حكم المماليك البحرية ٦٤٨)- ٧٨٤ هـ/ ١٢٥٠- ١٣٨٢ م) ، والثانية مرحلة حكم المماليك الجراكسة أو البرجية (٧٨٤)- ١٩٢٣ هـ/ ١٣٨٢- ١٥١٧ م). وقد سقطت الدولة المملوكية على يد العثمانيين ،سعيد عبد الفتاح عاشور :العصر المملوكي في مصر والشام ،1994م،ط3مكتبة الانجلو المصرية

([31]) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ،ص96/ج2،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،القاهرة ط1.

([32]) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ،ص504-505/ج1-ق2، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة .

([33])ابن فرحون:تاريخ المدينة المنورة ،ص99.

([34])المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ،ص504-505/ج1-ق2، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة.

([35]) عبد اللطيف ابراهيم : وثائق الوقف على الاماكن المقدسة ،ج2/ص251،الرياض 1399هـ/1979م.

المسجد شيخ يأتمرون بأمره ، ومشيخة تنظم شؤونهم. وكان لهؤلاء. كما سنرى. أثر كبير في تقديم الكثير من أعمال البر ، وواسطة خير لإنجاز عدد كبير من الأعمال والمنشآت التي تخدم الأفراد والمجتمع ، ومنهم من شارك بماله الخاص في هذه المجالات ، فضلاً عن ذلك فقد عملوا جاهدين في سبيل الحفاظ على المكتسبات القائمة ، ومنع التعدي عليها ، فضلاًعن الدفاع عن المستضعفين وعن حقوقهم ، ذكر ابن فرحون موضحاً ذلك. بعد أن ذكر عدداً من مشايخ الحرم وخدامه [36](وأعلم أنه كان قبل هؤلاء ومعهم وبعدهم جماعة كثيرون ينوفون على المئة لو عددتهم كلهم متصفون بالخير الكثير ، والدين المتين ، والأوقاف من الدور والنخيل وعتق الأرقاء من الخدام الذين كثير منهم اليوم في الحرم الشريف والعبيد والإماء مع الاجتهاد في قراءة القرآن والإكثار من سماع الحديث ، ولو تتبعتهم وذكرت صفاتهم وما علمت من أحوالهم لطال الكلام واتسع المقال [37] ومن خلال تتبع سياسة سلاطين المماليك في الحجاز نلحظ حرصهم على استقرار الأوضاع في المدينة ، إما بتعيين الأشراف الموالين لهم من بني الحسين وهم الذين فازوا بحكم المدينة منذ سيطرة العبيديين سنة(٣٥٨ هـ/ ٩٦٨ م)، أو بضم المدينة لسلطة شريف مكة ، ليسهل عليهم التعامل مع جهة واحدة تكون مسؤولة عن إقرار الأمن في المنطقة . ولا شك أن استقرار الأوضاع إلى حد ما في المدينة قد خلق جواً صحياً شجع أهل الخير على البذل ، وإقامة المنشآت الخيرية ، وتخصيص الأوقاف لوجوه البر المختلفة ، بعد أن ضمنوا- في ظل الأمن والاستقرار- وصولها للهدف المرسوم واستمرار عطائها أطول مدة ممكنة لتقدم خدماتها للمحتاجين .وقد صاحب استقرار الأوضاع في الحجاز ، وحرص المماليك على تأمين الحرية للمقيمين فيه أو القادمين إليه ، رغبة لدى كثير من المسلمين للمجيء للحج والعمرة أو المجاورة ، أو الاستقرار الدائم فيه. كما سنرى. ولا غرو أن هؤلاء كانوا بحاجة للرعاية ، كما أنهم خير مشجع على العمل الخيري في المدينة ، ولاسيما أن غالبيتهم من الفئات التي جاءت رغبة في التفرغ للعبادة ، وقضاء بقية العمر في هذا المكان الطاهر . وكان للاختلاف الفكري بين حكام المدينة المعتنقين للمذهب الشيعي والسلطة المملوكية السنية أثر في زيادة رعاية المماليك لأصحاب المذهب السني في المدينة بما يضمن بقاءهم ويدعم مركزهم فيها ، خصوصا أن نفوذ الشيعة أوائل العصر المملوكي قد وصل إلى مضايقة أتباع المذهب السني القاطنين في المدينة [38]

كما حفّز الشعور الديني الذي كان واضحا عند عدد من حكام المماليك وأتباعهم[39]على تقديم الكثير من الأعمال الخيرية ، فقد تسابق السلاطين المماليك وغيرهم على هذه الأعمال الخيرية خاصة في الحرمين الشريفين[40]، فكانوا يشاركون في أعمال خيرية مختلفة ، ولعل في افتتاحية وثائق الوقف المدونة في ذلك العصر خير دليل على مدى رسوخ الشعور الديني عند هؤلاء الواقفين [41] وللكوارث والأزمات كالحرائق أو المجاعات التي وقعت في المدينة في العصر المملوكي أثر في تقديم أنواع من الرعاية لسكان المدينة ، وذلك لمجابهة هذه الكوارث والحد من خطورتها ، أو إصلاح ما خلفته من خراب ودمار [42]

ولا شك أن سياسة المماليك الرامية إلى إقامة علاقات طيبة مع كثير من الدول الإسلامية[43]قد فسح المجال لهذه القوى للتعبير عن هويتها الإسلامية ، وحرصها على مصالح المسلمين ، وذلك من خلال المشاركات الخيرية المتنوعة التي قدمها حكام هذه الدول وأتباعهم للفرد والمجتمع في بلاد الحرمين الشريفين [44]

ثانيا:مظاهر الرعاية الاجتماعية

اتخذ ما يقدم من رعاية اجتماعية للمجتمع المدني في العصر المملوكي مظاهر مختلفة متعددة ، صدرت من جهات رسمية أو من اجتهادات شخصية ، ويمكن تقسيمها من حيث الشكل إلى نوعين رئيسين ؛ النوع الأول منها عبارة عن دعم مادي جاء على هيئة مدفوعات نقدية أو معونات عينية مختلفة ،كان مصدرها الرئيس من الأوقاف [45]والصدقات والتبرعات والهبات المختلفة. أما النوع الآخر فجاء على شكل دعم معنوي متنوع ، هيأ للمجتمع وأفراده صوراً شتى من الراحة والطمأنينة ، والحياة الكريمة البعيدة عن المنغصات. وفي الغوص في مظان مصادر التاريخ المختلفة كشف للعديد من مظاهر الرعاية الاجتماعية التي حظي بها المجتمع المدني إبان العصر المملوكي ، وسوف نكتفي هنا بذكر أبرز المظاهر التي قدمت من خلالها الرعاية الاجتماعية ، على أن نترك معرفة كيفية تقديمها وتفاصيل ذلك لميادين الرعاية الاجتماعية ومجالاتها ، ومن أهم مظاهر الرعاية وصورها توفير الطعام والشراب ، دفع الأموال النقدية ، منح الملابس والكسوة ، تقديم الأدوية والعلاج ، توفير السكن واستضافة القادمين والعناية بالتعليم والتشجيع عليه ، وتشييد المرافق وترميمها والعناية بها ، ومنح الهدايا وتبادلها وحفظ الممتلكات وتنفيذ الوصايا والتحرير من الرق ، وقضاء الحوائج ، وتفقد الأحوال ، وحفظ الحقوق ومنع التعدي عليها ، والشفاعة والمطالبة بالحقوق ، وإدخال المسرة على الآخرين ،

([36]) ابن فرحون:تاريخ المدينة المنورة ،ص57.
([37]) عبد الرحمن بن مديريس :المدينة المنورة في العصر المملوكي ،ص39-42.
([38]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ص32/ج4،دار الكتب القاهرة ،1383هـ-1963م
([39]) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ،ص105/ج4، تحقيق فؤاد السيد، مؤسسة الراسالة ط2، بيروت 1405هـ-1985م.
([40])ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ص348-349/ج15.
([41]) احمد هاشم بدر :اوقاف الحرمين الشريفين في اعصر المملوكي ،ص246،(دراسة تاريخية وثائقية حضارية) ،مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ،1426هـ -2005م .
([42])الغزي: الكواكب السائرة ،ص299/ج1.
([43]) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام ،ص238.
([44]) المقريزي: دررالعقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ج428/1، تحقيق محمود الحليلي، دارالغرب الاسلامي،ط1بيروت 1423هـ-2002م.
([45]) محمد محمد امين :الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص1.

وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة البدع ، وحفظ الأمن وتوفير الطمأنينة ،وتخفيف الآلام والمصائب ، وتوفير الأجواء الملائمة لتأدية العبادات ، وغيرها

المبحث الثالث

ميادين الرعاية الاجتماعية

تجسدت الرعاية الاجتماعية في المدينة إبان العصر المملوكي في ميادين متعددة ، ومجالات متنوعة ، شملت نواحي الحياة المختلفة لسكان المدينة حينذاك ، وجاءت لتضم في مجملها ؛ رعاية المحتاجين وإقامة المرافق الخدمية والعناية بها ، ودعم الحركة العلمية ، والحفاظ على الأمن .

أولاً: رعاية المحتاجين

فرضت بيئة المدينة الدينية وأوضاعها الداخلية إبان العصر المملوكي وجود عدد كبير من الفئات الاجتماعية المحتاجة للرعاية ؛ سواء من الفقراء والمساكين أو الأيتام والأرامل أو المرضى والعجزة والمعاقين أو المجاورين أو غيرهم ممن فرضت عليهم ظروف الحياة أن يحتاجوا- بعد الله سبحانه- الى آخرين يقومون بشؤونهم ويساعدونهم على تحمل مشقة العيش. وفي تتبع المصادر التاريخية كشف للعديد من الفئات التي شملتها يد العون والمساعدة ، وبيان للكثير من الطرق التي انتهجت لرعاية هذه الفئات الاجتماعية المختلفة.

- **الفقراء والمساكين** [46]

إن البحث في ما قدم من خدمات لفئة الفقراء والمساكين في المدينة في العصر المملوكي ليؤكد ثلاثة أمور الأول منهما مقدار ما حظيت به هذه الفئات من رعاية اجتماعية من معظم الشرائح القادرة ، والثاني تنوع أشكال ومظاهر الرعاية الاجتماعية التي قدمت لهذه الفئات ، أما الثالث فهو تكاثر أعداد هذه الشريحة في المجتمع المدني آنذاك. لقد كانت الأطعمة والأشربة من الأشياء الأساسية التي يحتاجها الفقراء والمساكين ، ولذا فقد أولاها المحسنون العناية التامة فكانوا يقدمونها لهم في بيوتهم[47]ومنهم من يقوم بجمع هذه الفئات ثم تزويدهم بما يكفيهم من الطعام والشراب [48]وكان الشيخ عبد الله بن عمر بن موسى البسكري أحد أعيان المجاورين في المدينة[49]على سبيل المثال- يستضيف الفقراء في منزله ، ويقدم لهم كل ما لديه من طعام [50]بيد أن هناك من كان يوقف النخيل ويخصص ما تنتجه من تمور ليوزع على الفقراء[51]. من جانب آخر فإن للفقراء والمساكين نصيب الأسد- بلا شك- من الغلال التي كانت ترسل للمدينة كل سنة من مصر [52] وكان السلطان الأشرف قايتباي قد قرر- مثلاً تقديم طعام دائم للمحتاجين في المدينة عرف باسم الدشيشة [53]، وذلك على الحرمين الشريفين ، فقد كانت كميات هائلة من القمح ترسل سنوياً إلى الحجاز لعمل الدشيشة التي توزع على طلاب العلم الشريف في الربط والزوايا ، والمساجد والمدارس بمكة والمدينة وعلى غيرهم من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والغرباء ، على أن تطبخ الدشيشة بزيت طيب أو دهن ، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة بعد أن حج سنة(٨٨٦ هـ/ ١٤٨١ م)وقرر لتموينها أوقافاً في مصر، ذكر السمهودي[54]وشرعوا في عمارة سبيل وفرن وطاحون ومطبخ للدشيشة ووكالة ذات حواصل في الدور التي اشتروها قبل ذلك للسلطان من دور العباسا ومما يلي ذلك في جهة القبلة ، وذلك أن السلطان- أعز الله تعالى أنصاره- بعد رجوعه من الحج شرع في شراء أماكن وجعلها وقفاً ليحمل ريعها إلى المدينة الشريفة ليفرق منه على أهلها ويعمل منه سماطاً... وأبرز لذلك ستين ألف دينار. وكان عبد الباسط بن خليل (٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠ م) وهو أحد كبار الأمراء المماليك قد رتب للفقراء والمنقطعين في الحرمين الشريفين مواد غذائية تحمل لهم سنوياً من دمشق والقاهرة[55].

من الجدير بالذكر أن البذل المقدم للفقراء في المدينة لم يقتصر على ما يقدمه الحكام المماليك وأتباعهم فقط وإنما جاء من مصادر أخرى ، فكان لشاه شجاع محمد بن المظفر اليزدي سلطان بلاد فارس (هـ ٧٦٧- ١٣٨٥ م) [56]جهود مشكورة في هذا المجال ،ذكر عنه السخاوي[57] للمنقطعين بالمدينة من عوارفه رزق دار ،وعيش ، قار ، وقلب سار ، وأملهم في مضاعفته بجميل عاطفته حقيق مديد ، وحبل رجائهم في مرادفته ومكاتفته وثيق شديد ومن المحسنين من

([46]) عبد الحسين مهدي الرحيم:الخدمات العامة في بغداد، ص18-19،(400-656هـ-1009-1258م) ،دار الشؤون الثقافية العامة،ط1 بغداد ،1987م.

([47]) ابن فرحون :تاريخ المدينة المنورة ، ص71.

([48]) المصدر السابق: ص154-155.

([49]) السخاوي : التحفة اللطيفة ،ص369-374/ج2.

([50])ابن فرحون :تاريخ المدينة المنورة ، ص60.

([51]) المرجاني : بهجة النفوس والاسرار،ص111-ج1

([52]) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج2/ص96.

([53]) عبد اللطيف ابراهيم: وثائق الوقف في الاماكن المقدسة ،ص252.

([54]) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى،ج2/ص644،تحقيق محمد محي الدين ،دار احياء التراث العربي ،ط4(بيروت 1404هـ-1984م)

([55]) من امراء المماليك ،السخاوي:الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،ج4/ص26، دار مكتبة الحياة، بيروت.

([56]) شاه شجاع سلطان بلاد فارس ،المقريزي: درر العقود الفريدة ،ج2/116-120.

([57]) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج2/210

رأى ضرورة توفر النقد في أيدي هؤلاء الفقراء والمساكين فحرص على دفع مبلغ مالي مع ما يعطيه للفقير من طعام أو ملبس [58]وقد نصت وقفية السلطان فرج بن برقوق (-٨١٥ هـ/ ١٣٩٨- ١٤١٢ م) [59] على توزيع جزء من ريع وقفه المخصص للحرمين على الفقراء والمساكين ، وذلك على هيئة مبلغ مالي[60] وكان حج بعض السلاطين وكبار الشخصيات فرصة لحصول هذه الفئات على بعض المبالغ المادية ، ومن ذلك- مثلاً- ما نعم به أهل الحرمين من الصدقات الطائلة التي تبرع بها الملك الظاهر بيبرس عندما حج سنة (٦٦٧ هـ/ ١٢٦٩ م)[61]

وكذلك ما قدمه سلطان مالي موسى بن أبي بكر التكروري[62] من أموال كثيرة في أثناء حجته سنة(٧٢٤ هـ/ ١٣٢٣)م[63] أما السلطان قايتباي فقد فرق في المدينة في أثناء حجته سنة(٨٨٤ هـ/ ١٤٧٩ م)أكثر من ستة آلاف دينار [64] (٦). وعندما أصبحت المدينة تابعة لسلطة شريف مكة حظيت بعناية حكامها من الأشراف ، فقد تصدق شريف مكة محمد بن بركات (١٥٩- ٩٠٣ هـ/ ١٤٥٤- ١٤٩٧ م)- على سبيل المثال- بأكثر من ألف دينار على أهل المدينة عندما زارها سنة ٨٨٧ هـ ١٤٨٢ م [65] ومن الأمراء الذين شاركوا في هذا الجانب – مثلاً- الأمير سيف الدين يشبك الناصري (ت ٨٣١ هـ/ ١٤٢٧ م) [66] الذي بذل في سبل الخير في أثناء حجته ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم)[67]وقفية الأمير شيخ (ت ٧٢٤ هـ/ ١٣٢٣ م) [68] نائب السلطنة المملوكية في بلاد الشام التي نصت على بعث مائتي قميص سنويا تعطى فقراء الحرمين الشريفين [69] أما وقفية فاطمة زوجة الزيني شعبان والتي كتبت سنة ٨٨٧ هـ/ ١٤٦٥ م فكانت أكثر وضوحاً وتفصيلاً ، ذكر أحمد هاشم بدرشيني [70] (قد حددت الواقفة صرف خمسة دنانير ونصف دينار لشراء قماش خام من الكتان لتفصيلها قمصاناً ، وأجرة من يتولى حياكتها ، وحياكة هذه القمصان كانت للفقراء والمساكين بالحرمين الشريفين ، ويتم صرفها لهم على دفعتين ؛ الأولى في مستهل محرم من كل سنة ، والأخرى في شهر رمضان من كل سنة أيضاً). الجدير بالذكر أن وقفية السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٢- ١٣٧٦ م) قد نصت على تخصيص مبلغ من المال يشترى بها إبر وخيوط وتفرق على المحتاجين إليها بالمدينة[71] من جانب آخر فقد شملت هؤلاء الفقراء والمساكين الكسوة التي يتم توزيعها من بعض السلاطين في مواسم الحج ، ذكر المقريزي وهو يتحدث-مثلاً- عن حجة السلطان الظاهر بيبرس[72] (وعم أهل الحرمين بالكسوة التي فرقها).

من الجدير بالذكر أن الأوقاف التي كانت تخصص للفقراء والمساكين قد شملت- فضلا عن الرجال- النساء المقيمات بالمدينة[73] ومن الموسرين من وفر السكن للفقراء والمساكين ، سواء بإيقاف الدور لإيوائهم[74]، أو تخصيص الأربطة لسكناهم ، كرباط مراغة[75] - مثلاً- ومن هؤلاء الموسرين- أيضاً- من قام بتسديد ديون الفقراء [76] أو القيام بإقراضهم ما يحتاجونه من أموال[77] كما شملت رعاية الفقراء والمساكين تمريضهم عند الحاجة وتقديم الدواء لهم كما يفعل- مثلاً- عز الدين دينار البدري أحد خدام المسجد النبوي (ت ٧٣٤ هـ/ ١٣٣٣ م) [78]وكذلك تفقد أحوالهم المادية والأسرية[79]وقضاء حوائجهم وخدمتهم ، ذكر ابن فرحون عن محمد بن إبراهيم الكناني المؤذن (٧٢٩ هـ/ ١٣٢٨ هـ) [80] على سبيل المثال[81] (يحب الفقراء ويخدمهم ويقضي حوائجهم). فضلا عن تقديرهم والرأفة بهم ، ومن ذلك- مثلاً- ما فعل السلطان قايتباي عندما تحرك ماشياً على أقدامه من مسكنه في المدينة في حجته سنة(

([58]) ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1/ص718،تحقيق محمد مصطفى ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط2القاهرة 1402هـ-1982م.
([59]) احمد هاشم بدر شيني: اوقاف الحرمين ،ص147.
([60]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج7/ص174.
([61]) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ج4/ص283-284.
([62]) المقريزي : الذهب المسبوك، ص91.
([63]) النهرواني : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ،ص250،تحقيق هشام عبد العزيز عطا ، المكتبة التجارية ،1416هـ/1996م.
([64]) عزالدين ابن فهد :بلوغ القرى ،ج1/ص213
([65]) المقريزي :دررالعقودالفريدة ،ج3/ص534-535.
([66]) المقريزي: السلوك ج2/ق2/ص472.
([67]) أحمد هاشم بدر شيني: اوقاف الحرمين ،ص175
([68]) ابن حجر العسقلاني :انباء الغمر،ج7/ص435-437.
([69]) أبن اياس :بدائع الزهور ،ج1/ص718.
([70]) عبد الرحمن بن مديريس:المدينة في العصر المملوكي،ص126.
([71]) راشد سعد القحطاني :اوقاف الاشرف شعبان على الحرمين،ص126،مكتبة فهد الوطنية 1426هـ-2005م.
([72]) المقريزي :الذهب المسبوك ،ص91.
([73]) احمد هاشم بدر شيني:اوقاف الحرمين ،ص190.
([74]) ابن فرحون : نصيحة المشاور،ص102-103.
([75])ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ،ج3/ص266
([76]) أبن فرحون : نصيحة المشاور،ص113.
([77]) السخاوي: التحفة اللطيفة ،ج2/ص456-458.
([78]) أبن فرحون: نصيحة المشاور ،ص141.
([79]) السمهودي: وفاء الوفاء،ج2/ص713.
([80]) نفس المصدر:ج2/ص714.
([81]) ابن فرحون : نصيحة المشاور،ص49.

٨٨٤ هـ/ ١٤٧٩ م)والفقراء والمساكين يحفون به من كل جانب حتى خرج من المدينة[82] فضلاً عن ذلك فقد بذل آخرون أنفسهم لمصلحة هؤلاء الفقراء ، سواء في التوسط لهم عند الحكام ، أو المطالبة بحقوقهم والدفاع عنها [83] ولعل ما يؤكد العناية بالفقراء في المدينة - أيضاً- في العصر المملوكي وجود قبة وسط الحرم النبوي يجمع فيها بعض مخصصاتهم[84] وكذلك نص الكثير من الوقفيات على عودة صرف المتحصل من الوقف على فقراء الحرمين عندما يتعذر صرفها في الأوجه الرئيسة المخصصة لها [85]الأيتام والأرامل، وجد اليتيم في المجتمع المدني إبان العصر المملوكي الرعاية التامة من قبل فئات المجتمع المختلفة مجسدين بذلك تعاليم الإسلام التي فرضت على المسلمين- أفراداً وجماعات – حقوقاً والتزامات لليتيم لينعم بالحياة المستقرة ، ويصبح عضواً فاعلاً في مجتمعه [86]

لقد وفرت لليتيم خدمات أساسية تساعده على الحياة الكريمة وتكف يده عن السؤال ، ومن ذلك- مثلاً- ما قام به شيخ الحرم النبوي عز الدين دينار الشهابي المرشدي (ت ٧٦١ هـ/ ١٣٥٩ م) [87] حين كفل مجموعة من الأيتام ونعمهم بالمأكل والملبس والمسكن حتى أصبحوا وكأنهم من عياله [88] وكان ممن كفلهم عز الدين دينار أبناء عنبر الصرخدي[89] ذكرابن فرحون عن عنبر الصرخدي [90] كان من أتباع الشيخ عز الدين شيخ الحرم ، وكان يظن أنه من عتقائه لمخالطته عياله ، وترك أولاداً صغاراً كفلهم الشيخ عز الدين وأقرأهم القرآن وكفل أولادهم من بعدهم حتى انقرضوا وقد نال الأيتام نصيباً وافراً من الأوقاف التي دأب الموسرون على حبسها لبعض الفئات المحتاجة في المجتمع ، فشملتهم- على سبيل المثال- مصروفات وقفية السلطان فرج بن برقوق التي أوقفها على عدد من الفئات في الحرمين الشريفين [91]وكذلك وقفية الأمير شيخ المحمودي نائب السلطنة المملوكية في بلاد الشام التي نصت على رعاية عشرة أيتام في المدينة[92] أما وقفية السلطان الأشرف شعبان فكانت أكثر عناية بالأيتام وأكثر توضيحاً لحقوقهم فقد جاء في مصروفات أوقافه في المدينة: ويصرف المؤدب وعشرة من أيتام المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم يجلسون بالموضع الذي يعينه الناظر لهم ليعلمهم... ويصرف لهم من المعلوم... في كل سنة من النقرة [93]أربعة آلاف درهم وثلاثمائة درهم وعشرون درهماً نقرة من ذلك ما يصرف للمؤدب المذكور في كل سنة من النقرة سبع مائة درهم وعشرون درهما نقرة وما يصرف للأيتام المذكورين بقية المبلغ المذكور وهو ثلاثة آلاف درهم وستمائة درهم نقرة بالسوية بينهم لكل منهم في كل سنة ثلاثمائة درهم وستون درهماً نقرة عن نفقتهم وكسوتهم ويصرف في كل سنة ما يحتاجون إليه من ألواح ودوي ومداد وأقلام وحصر يجلسون عليها في العادة) [94] وكان إمام الحرم النبوي وخطيبه سراج الدين عمر بن أحمد بن الخضر الأنصاري الخزرجي (ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥ م) [95] يتفقد الأيتام ويتعهدهم بأنواع البر المختلفة[96] . كما تعاهد آخرون تربية الأيتام وتعليمهم في المدينة حتى يكبروا ويعتمدوا على أنفسهم[97] وقد نصت بعض الوقفيات على ضرورة تعيين شخص يتولى تعليم الأيتام وتأديبهم مقابل مبلغ مالي يدفع له[98] .

ومن المسؤولين من حرص على حفظ حقوق الأيتام ودافع عنها حتى يبلغوا ، مثلما فعل شمس الدين صواب المغيثي ت(٧٣٤ هـ/ ١٣٣٣ م) [99] أحد خدام المسجد النبوي مع من حاول أخذ وظائف والد ابن فرحون بعد وفاته ، وأدخل أمير المدينة في القضية لكن جهود المغيثي نجحت في حفظ هذه الحقوق لأبناء المتوفى[100] وإذا كانت مسئولية تقع اليتيم بالدرجة الأولى على الأقارب فإننا نلحظ قيام البعض بهذا الواجب ، فكان- مثلاً- أمير المدينة عطية بن منصور بن جماز (٦٠- ٧٧٣ هـ/ ١٣٥٨- ١٣٧١ م) يرعى أيتام الأشراف وينفق عليهم من ماله الخاص[101] . كما قام محمد بن يوسف الحليمي (ت ٧٦٦ هـ/ ١٣٦٤ م) بتربية إخوان زوجته وتعليمهم بعد وفاة والدهم[102].

([82]) احمد هاشم بدر شيني: أوقاف الحرمين ،ص425-452.
([83]) محمد عزمي صالح: الرعاية الاجتماعية لليتامى في الاسلام ،مكتبة وهبة ،ط1القاهرة،1046هـ-1986م.
([84]) ابن فرحون: نصيحة المشاور،ص41.
([85]) المقريزي: درر العقود الفريدة ،ج2/ص40-43 .
([86]) السخاوي: التحفة اللطيفة ،ج3/ص373.
([87]) ابن فرحون: نصيحة المشاور،ص1818.
([88]) أحمد هاشم :اوقاف الحرمين ،ص174.
([89]) أبن اياس: بائع الزهور، ج1/ص718.
([90]) القلقشندي: صبح الاعشى في صناعة الانشا، محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت 1407هـ/1987م.
([91]) راشد سعد القحطاني:اوقاف الاشرف شعبان ، ص248-249.
([92]) السخاوي : التحفة اللطيفة ،ج3/ص312-317.
([93]) ابن فرحون: نصيحة مشاور،ص196.
([94]) أحمد هاشم : اوقاف الحرمين،ص158،139،136.
([95]) أبن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ، ج4/ص216-217.
([96]) ألسخاوي : التحفة اللطيفة ،ج2/ص247.
([97]) أبن فرحون :نصيحة مشاور،ص241-242.
([98]) ألسخاوي: التحفة اللطيفة ،ج2/ص247-248
([99]) ألمصدر السابق:ج3/ص72
([100]) العيدروسي: النور السافرعن اخبار القرن العاشر،ص14،المكتبة العربية ، بغداد،1934م.
([101]) الصفدي: الوافي بالوفيات ،ج2/ص46،تحقيق احمد ارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث، بيروت 1420هـ/2000م
([102]) ألسلطان الناصر محمد بن قولون ونظام الوقف في عهده ،ص118،مكتبة الفلاح ،الكويت 1403هـ/1983م.

وقد أنشئت في المدينة مكاتب خاصة للأيتام تعنى بشؤونهم تعليماً وتأديباً ، ومن ذلك- مثلاً- مكتب الأيتام الذي أقامه السلطان الأشرف قايتباي[103] ، كما وقف الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدوادار
(ت ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤ م) كتاباً للأيتام في المدينة أيضاً[104] ولحماية هذه المكاتب وضمان استمرارها ونجاح مهمتها فقد كانت – في الغالب- تلحق بالمدارس أو المساجد ، تقول حياة الحجي مبينة سبب ذلك [105] وقد يكون السبب في عدم قيام مراكز تعليم اليتامى هذه مستقلة بذاتها هو الخوف من اندثارها وسرعة وصول الخراب إليها ، ولذا كانت تلحق بهذه المؤسسات الكبيرة القادرة على تمويلها وإمدادها بالمدرسين والطعام والكتب وغير ذلك مما تحتاجه لتواصل مسيرتها في تعليم الأيتام وحسن توجيههم

كما امتدت يد الرعاية للأرامل فخصص لهم نصيب من الأوقاف الثابتة مما قرر لبعض الفئات الاجتماعية في المدينة ، كما صرفت على هذه الفئة الأكسية المناسبة[106] فضلا عن ذلك فقد كانت أحوالهم محل عناية بعض الشخصيات الذين تعاهدوهم بالرعاية وتفقد الأحوال[107] المرضى والعجزة والمعاقون تشترك هذه الفئات في وجود عائق جسدي- مؤقت أو دائم. يقف حائلا بينها وبين توفير سبل العيش مما يجعلها بحاجة لمزيد من الرعاية الاجتماعية التي تساعدها على تحمل منغصات الحياة ومشقتها ، وبالرغم مما يجدونه من رعاية مخصصة للفقراء والمساكين لاندراجهم تحت مظلتهم ، فقد خُصوا- أيضاً- بمزيد من الاهتمام تقديراً لحالتهم الصحية ، فنصت بعض الوثائق الوقفية على توزيع جزء من مصارفها على هؤلاء لسد حاجتهم المادية [108]

كما دأب بعض مشايخ الحرم النبوي على تقديم الأطعمة والدواء للمرضى ، فعلى سبيل المثال ذكر ابن فرحون عن الشيخ عز الدين دينار البدري [109] كان مسكنه دار الشرابي بزقاق الخدم ، قد جعلها موئلا للإخوان ومرفقاً لكل مرتاد ، يُعِدُّ فيها للمرضى أنواعاً من الأمواه والأشربة والأغذية ، لا يمرض فقير أو مجاور أو خادم إلا جاءه في الحين ، وحمل إليه من كل ما يحتاجه ،... ومتى وصف لمريض فقير دواء سعى في تحصيله حتى يأتيه بــه. وذكر السخاوي أن داره كانت كالبيمارستان للمرضى [110] وذكر ابن فرحون عن عز الدين أحمد بن محمد بن محمد التلمساني (٧٤٠ هـ/ ١٣٣٩ م) [111] أنه يعالج الطرحاء في مكانهم ، ويطوف على المرضى بالمدينة فيتفقدهم أينما كانوا بالطعام والدواء ، ويشهيهم فيعمل لهم ما يشتهون ، ويطلب منا المساعدة على ذلك ، أما المعاقون فقد كانت حالتهم الخلقية مدعاة لتقديم مزيد من العون والمساعدة لهم فمع ما يقدم لهم من دعم مادي حصلوا عليه بسبب عجزهم عن العمل ، فقد وجدوا من بعض المسئولين مزيداً من الرأفة والعناية ، كما وجدوا ممن حولهم من الأفراد الخدمة الكافية التي تساعدهم في تجاوز بعض الظروف التي تحيط بهم [112] وفي سبيل خدمة فئات المرضى والمعاقين والعجزة وتقديم العلاج والرعاية الطبية لهم فقد زُود البيمارستان المستنصري الموجود في المدينة آنذاك بما يحتاجه من الأطباء والأدوية من قبل حكام المماليك [113]وكانت الفرص مهيأة لجميع فئات المجتمع دون تفريق للعلاج بالمجان في هذا البيمارستان [114]

من ناحية أخرى فإننا لا نشك باستفادة أفراد المجتمع المدني من الخدمات المتنوعة للفريق الطبي والذي عادة ما يرافق وفود الحجيج القادمين من بعض الأمصار الإسلامية إلى الأماكن المقدسة ، فقد حرصت الدولة العباسية- على سبيل المثال- على إرسال وفد طبي يصحب موكب الحج مزوداً بالأدوية الكافية ليقوم بدوره الطبي في أثناء الموسم [115] كما كان الخليفة العباسي الناصر لدين الله(٥٧٥- ٦٢٢ هـ/ ١١٧٩- ١٢٢٥ م) قد أمر في أثناء خلافته بتوزيع الأدوية على الناس في أثناء الحج[116] أما حكام الدولة المملوكية فقد دأبوا على بعث عدد من المتخصصين في المجالات الطبية في صحبة ركب الحاج ، بعد تزويدهم بالأدوية والعقاقير الطبية المتنوعة ، ليقدموا خدماتهم للحجيج وغيرهم من المجاورين في الأماكن المقدسة [117] ، تعدُّ المجاورة [118] ظاهرة دينية واجتماعية، اقتضتها قدسية المكان وشرفه وفضيلته، وأملتها رغبة بعض المسلمين من مختلف الفئات في قضاء وقت صفاء روحي. وهي تمتد وتقصر حسب رغبة المجاور ودوافعه وأهدافه والظروف المحيطة به [119] و يغلب على المجاورين الفقر والعوز فضلا عمّا كانوا يعانونه من الغربة عن الأهل والبعد عن الوطن ، فضلاً عن رغبتهم في التفرغ للعبادة ، فقد كانوا في أشد الحاجة للرعاية ،

([103]) احمد هاشم :أوقاف الحرمين،ص147.
([104]) ابن فرحون : نصيحة مشاور،ص52
([105]) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج2/ص44
([106]) المصدر السابق:ج1/ص247.
([107]) ابن فرحون : نصيحة مشاور،ص120.
([108]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج7/ص194.
([109]) ابن فرحون: نصيحة المشاور،ص241-242.
([110]) احمد هاشم :اوقاف الحرمين، ص213.
([111]) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج18/ص240،تحقيق محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ،بيروت،1412هـ/1992م .
([112]) عبدالحسين مهدي: الخدمات العامة في بغداد،ص55.
([113]) أحمد هاشم: أوقاف الحرمين ،ص319،143.
([114]) ألجوهري: الصحاح، ج2/ص724،دار العلم للملايين،ط3 1404هـ/1984م.
([115]) عبدالعزيز بن راشد:المجاورون في مكة واثرهم في الحياة العلمية ،ص7
([116]) عبد الرحمن مديرس: المدينة المنورة في العصر المملوكي، ص134
([117]) ابن فرحون: نصيحة المشاور،ص22
([118]) ابن فرحون: نصيحة المشاور، ص61
([119]) المصدر السابق:ص54

وامتداد اليد الحانية إليهم. ولذا فقد حظيت هذه الفئة في المدينة- والتي شكلت إبان العصر المملوكي أكبر شرائح المجتمع المدني[120] بصنوف شتى من الرعاية المادية والمعنوية ، فقدمت لهم الأطعمة الكفيلة بسد حاجتهم من قبل بعض المحسنين سواء من المواد الغذائية التي كانت تأتي من خارج بلاد الحجاز [121] مما تنتجه المدينة وبخاصة التمر الذي كان يوزع عليهم كل سنة قدر كفايتهم[122] ، بل وصل الأمر بالبعض إلى إتحاف المجاورين بالمأكولات الفاخرة والنادرة الوجود في بلاد الحجاز .وكان جمال الدين محمد بن أحمد بن خلف الأنصاري العبادي الساعدي المعروف بالمطري ت ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠ م [123] يوفر المسكن والملبس للقادمين للمجاورة في المدينة [124] فضلا عن ذلك فقد خصصت بعض الأوقاف لتزويد المجاورين بحاجتهم من الملابس[125] كما كان لهم- أيضاً- نصيب وافر من الأموال التي كانت توزع في بعض السنوات نقداً على أهل الحرمين [126] فضلاً عما كان يصلهم من أموال الزكاة النقدية أو العينية[127] من جانب آخر فقد وجد المجاورون في المدينة من أهلها الرعاية المعنوية اللازمة ، فكان أعيان المدينة- مثلاً- يولونهم كل اهتمام وتقدير ، ذكر ابن فرحون[128] وكان رؤساء المدينة يوالون المجاورين ويخدمونهم ، ويتقربون إلى خواطرهم بقضاء الحوائج والهدايا والطرف. ومثلهم مشايخ الحرم كالشيخ كافور المظفري الحريري (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م) [129] الذي كان يوالي المجاورين ويحسن إليهم ويقضي حاجاتهم [130] كما لقي المرضى منهم الرعاية الصحية التي يحتاجونها. وعندما يتعرض المجاورون للمضايقة من بعض حكام المدينة تمتد لهم يد الحماية ، سواء من كبار المسؤولين في المدينة [131] أو من قبل السلطان المملوكي الذي يقوم بتأنيب الشريف الذي يقدم على الضغط على المجاورين [132] وربما يصل الأمر في بعض الأحيان لعزل من يمعن في مضايقتهم من أمراء المدينة[133] أو تدبير اغتياله كما وقع لأمير المدينة جماز بن منصور (٧٥٩ هـ/ ١٣٥٧ م) [134].

- **فئات أخرى**

امتدت يد العون والمساعدة في العصر المملوكي لفئات أخرى في المدينة كانت في حاجة للرعاية الاجتماعية التي تساعدها على تخطي الكثير من العقبات والمصاعب ، مثل صغار السن والحجاج المحتاجين وخدام المسجد النبوي والأرقاء والأموات. فقدمت للأطفال وصغار السن- من غير الأيتام- صوراً متعددة من الرعاية ؛ كالإشفاق عليهم ، والاطمئنان على أحوالهم ، والحرص على تلقيهم العلم ، ومن أمثلة ذلك ما كان يفعله شيخ الحرم عز الدين دينار الشهابي المرشدي والذي كان لأولاد المجاورين كالأب الشفيق ، وإذا رأى أحدهم سأله عن حاله وحال أهل بيته وأولاده. ذكر: كيف أولادنا ؟ كيف إخواننا ؟ ويقضي الحوائج بطيب نفس لا يتنكر ولا يحرد [135] وقال ابن فرحون عن عز الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد التلمساني [136] وكان لا يزال مبتسماً يسأل عن الصغير والكبير ، ويأتي إلى بيوت أصحابه ويدعوا لصغارهم ، وكان لي منه نصيب وأي نصيب ، إن قلت: لم أنل الخير إلا معه ، ولم أر السعد إلا في أيامه ، كنت صادقاً). كما شملت رعاية صغار السن الاهتمام بتعليمهم عن طريق الكتاتيب [137] التي كانت إما على شكل مكاتب رسمية خاصة ، أو اجتهادات شخصية تتخذ من أحدى جنبات المسجد مكاناً لها [138] فمن هذه المكاتب- مثلاً- مكتب الشيخ محمد بن عبد الله السبتي (٧٢٠ هـ/ ١٣٢٠ م) [139] ذكر ابن فرحون عنه [140] وله على أولاد المجاورين بل وأهل المدينة يد طولى ومنّة عظيمة في تعليمهم القرآن ، إن قلت: إنه لم ينجب أحد من الأولاد في زمانه على يد غيره من المعلمين فلست من الكذابين ، وكان في كتابه فجعل العرفاء فوق من دونهم ، وقدم على كل طائفة واحدا منهم ، وانتظم له سلك التعليم . وقد انتظم في كتابه أكثر من مائة طالب[141] كما كان هناك مجموعة من المعلمين والمؤدبين الذين كانوا موجودين في الحرم النبوي إبان العصر المملوكي للاشتغال

([120]) السخاوي: التحفة اللطيفة ،ج3/ص466-469
([121]) ابن فرحون : نصيحة المشاور،ص136
([122]) أحمد هاشم :أوقاف الحرمين ،ص174-175
([123]) المقريزي: السلوك ،ج2/ق2/ص272
([124]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ،ص60
([125]) ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة ،ج3/ص261
([126]) السخاوي : التحفة اللطيفة ،ج3/ص466-469
([127]) ابن فرحون نصيحة المشاور ، ص40
([128]) المصدر السابق: ص140
([129]) ابن فرحون : نصيحة المشاور،ص231
([130]) المصدر السابق:ص85
([131]) المصدر نفسه: ص239
([132]) المقريزي: درر العقود الفريدة ،ج3/168
([133]) ابن فرحون: نصيحة المشاور،ص43
([134]) المصدر السابق:ص71
([135]) المصدر نفسه: ص221
([136]) المصدر نفسه: ص184
([137])ابن منظور : لسان العرب،م6/ص3817، مادة كتب
([138]) خالد محسن الجابري:الحياة العلمية في الحجاز ، ص371،مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي،1436هـ
([139]) السخاوي :التحفة اللطيفة ،ج3/ص616
([140]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ، ص163
([141])السخاوي :التحفة اللطيفة ،ج3/ص617

بتعليم أبناء المدينة وتأديبهم[142] وقد بلغ الحرص على تعليم الصغار وتشجيعهم على طلب العلم أن بعض المشايخ كانوا لأخذ الإجازات لهم من بعض العلماء يسعون لأخذ الإجازات لهم من بعض العلماء[143] وممن شملتهم الرعاية في المدينة في العصر المملوكي المحتاجين من الحجاج القادمين للديار المقدسة ، فكانت المؤن الغذائية تقدم من قبل بعض السلاطين المماليك لتصرف عليهم وعلى غيرهم من المحتاجين في المدينة [144]كما حرص البعض على توفير احتياجاتهم من المأكل والمشرب والمسكن عند قدومهم المدينة مثل ما كان يفعل محمد بن سالم بن إبراهيم الحضرمي (ت ٧٦٦ هـ/ ١٢٦٧ م) [145] الذي كان يترك في أيام الموسم حوائجه وحوائج أهله ، ويتطلب أصحابه فينزلهم في منزله ويضيّفهم ويبذل لهم الخدمة والطعام والماء البارد الحلو ، ويخلّي داره التي هو فيها ، هذا دأبه مع كل معارفه ، حتى أنه ليذهب إليهم وهم في منازلهم فيرحلهم إلى بيته ويعزم عليهم فيذلك [146].

وكان السلطان الأشرف شعبان قد خصص من أوقافه على الحرمين مبلغاً من المال لضيافة القادمين إلى المدينة ، فيصر الناظر في كل سنة من النقرة ألفي درهم لمن يرد الحرم النبوي من المشاة لكل منهم خمسة دراهم نقرة ضيافة لهم حين حضورهم ، فإن فضل من ذلك فضلة صرفها في تجهيز من عجز عن التوصل إلى أهله فيصرف إليه من ذلك ما يوصله إلى وطنه على يراه ويؤدي إليه اجتهاد الناظر[147]كما خصصت- أيضاً- للحجاج الذين يواجهون العناء والمصاعب في رحلة الحج مجموعة من الأوقاف ، تُعنى برعايتهم في الطريق أو في أثناء وجودهم في الأماكن المقدسة ، ومن ذلك توفير الجمال لحمل المشاة منهم ، فضلاً عن تقديم ما يحتاجونه من ملبس وزاد وغيره[148]

وكان خدام المسجد النبوي ممن حظوا على اختلاف فئاتهم برعاية حسية ومعنوية ، ولذا فقد عُني كثيرون من السلاطين والأمراء والموسرون بتخصيص الأوقاف الكافية لهذه الفئة لتتفرغ لتأدية دورها في المطالب المناط بها بالشكل المطلوب [149] كما وجد هؤلاء الخدم من السلطة المملوكية الحماية من تسلط بعض الأمراء[150] والسعي في خدمتهم وقضاء حوائجهم من عامة الناس [151] أما الأرقاء فقد نَعُم عدد كبير منهم بالحرية بعد أن قام كثير من المحسنين بتحريرهم من الرق ، وتقديم الرعاية لهم بعد ذلك ، بتقديم ما يكفل عيشهم من المأكل والمسكن والملبس[152] أو تأمين مستقبلهم بتعيينهم في إحدى الوظائف التي تدر عليهم الدخل الكافي ، كالخدمة في المسجد النبوي[153] ومن المحسنين الذي قاموا بهذا العمل- مثلاً- شيخ الحرم النبوي عزالدين دينار الشهابي المرشدي الذي أعتق خداماً وعبيداً وإماء يزيد عددهم على الثلاثين [154]وكذلك صالح بن إسماعيل الكناني (ت ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧ م) [155] الذي أعتق ما يقارب ثلاثين مملوكاً[156] كما امتدت الرعاية للأموات بتخصيص الأموال الكافية كأوقاف دائمة تُعنى بشؤون الأموات وما يتعلق بذلك ، ذكر أحمدهاشم بدرشيني [157] ولم تقتصر عناية الواقفين على الخدمات العامة للأحياء ، بل شملت الأموات أيضاً ، فوقفوا ما تدعو الحاجة إليه لمن يموت بالمدينتين المقدستين من الرجال والنساء ، فخصصوا من ريع أوقافهم كل ما يحتاج إليه أموات المسلمين من حيث تجهيزهم كغسلهم ، أو ثمن أكفانهم ، وما إلى ذلك من حنوط ، وأجرة مغسل أو حافر للقبر أو مداري للجسد في القبر حسب ما نصت عليه السنة المطهرة .

ثانيا: إقامة المرافق الخدمية والعناية بها: لقيت المرافق التي تقدم خدماتها للفرد خاصة والمجتمع بصفة عامة في المدينة عناية فائقة على المستويين الرسمي والشعبي ، وفي سبيل ذلك عُمّرت مرافق جديدة ، ورصدت لها الأموال الكافية التي تضمن استمرارها في تأدية دورها ، كما عُني بالمرافق القائمة ؛ سواء بالتجديد والإصلاح والصيانة ، أو المحافظة على مواردها المالية التي تساعد على بقائها، ومن أهم المرافق الخدمية التي امتدت لها يد المحسنين على اختلاف فئاتهم ؛ المساجد ، والأربطة والآبار والعيون والسقايات والأسبلة ، وغيرها .

ثانيا:المساجد

تعدُّ المساجد- نظراً لمكانتها الدينية وتعدد خدماتها للمجتمع المسلم- من أبرز المرافق التي وجدت العناية التامة من المسلمين حكاماً ومحكومين منذ ظهور الإسلام ولا تزال ، وقد حظيت مساجد المدينة إبان العصر المملوكي بمزيد من العناية ، وخصوصاً من

([142]) المصدر السابق:ج2/ص66
([143]) المصدر نفسه: ج3/.ص97
([144])ابن فرحون : نصيحة المشاور ، ص62
([145]) نجم الدين : اتحاف الورى ،ج3/ص132.
([146]) عبدالرحمن بن مديريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي،ص113.
([147]) الفاسي: العقد الثمين،ج2/ص19-20
([148]) ابن فرحون : نصيحة المشاور، ص114
([149]) السخاوي: التحفة اللطيفة، ج3/ص570.
([150]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ،ص114
([151]) الفاسي :العقد الثمين، ج2/ص19-20.
([152]) السخاوي : التحفة اللطيفة، ج3/ص572.
([153]) راشد سعد القحطاني: اوقاف الاشرف شعبان على الحرمين ،ص122.
([154]) احمد هاشم :اوقاف الحرمين ،ص251
([155])راشد سعد القحطاني: اوقاف الاشرف شعبان على الحرمين ،ص122 .
([156])احمد هاشم :اوقاف الحرمين ،ص302-303
([157]) ابن فرحون : نصيحة المشاور،ص231.

قبل السلاطين المماليك وأتباعهم من الأمراء والحاشية ، ولمكانة المسجد النبوي السامقة في نفوس المسلمين عموماً فقد فاز بالنصيب الأوفر من العمارة وتوفير الخدمات اللازمة لراحة المصلين فيه[158] فتم تجديدها[159] ومن الجدير بالذكر أن المسجد النبوي وجد في العصر العباسي الكثير من الاهتمام والرعاية ،ذكر ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) موضحاً ذلك: ولم تزل الخلفاء من بني العباس ينفذون الأمراء على المدينة ويمدونهم بالأموال لتجديد ما يتهدم من المسجد ولم يزل ذلك متصلاً إلى أيام الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين فإنه ينفذ في كل سنة من الذهب العين الإمامي ألف دينار لأجل عمارة المسجد ، وينفذ عدة من النجارين والبنائين لبنائه في العصر المملوكي مرتين ، وذلك على أثر حريق تعرض له المسجد ، كان التجديد الأول على يد السلطان الظاهر بيبرس[160]والآخر في عهد السلطان الأشرف قايتباي [161]فضلاً عمّا جرى لبعض أجزاء المسجد النبوي من تجديدات في عهد سلاطين آخرين ومن ذلك- مثلاً- ما جرى في عهد السلطان محمد بن قلاوون عندما قام في سنتي (٧٠٥. ٧٠٦ هـ/ ١٣٠٥- ١٣٠٦ م) بتجديد أجزاء من سقف المسجد النبوي[162] ورغبة في زيادة الطاقة الاستيعابية للمسجد النبوي لتتواكب مع تزايد أعداد زوار المدينة فقد قام بعض السلاطين المماليك بتوسعته ، ومن ذلك ما قام به السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٩ هـ عندما أمر بزيادة بعض الأروقة في المسجد النبوي[163]

ولم تقتصر عمارة المسجد النبوي وترميمه على المشاركات السابقة ، بل نال هذا الجانب نصيباً طيباً من الأوقاف التي خصصت كموارد دائمة لما يحتاجه المسجد في العصر المملوكي من ترميم أو إصلاح [164] من جانب آخر فقد حرص الواقفون على راحة المصلين في المسجد النبوي بتوفير الفرش والإنارة الكافية ومستلزماتها فيه[165] كما حرصت السلطة المملوكية على ترتيب عدد من الوظائف التي يقوم شاغلوها بتقديم خدمات مختلفة للمسجد النبوي مقابل موارد ثابتة لهم[166] ولم تكن المساجد الأخرى في المدينة بمنأى عن الاهتمام ، فجدد بعض سلاطين الدولة المملوكية وأتباعهم بعض المساجد[167]كما شارك محسنون آخرون من المجاورين في تفقد المساجد وتعميرها ، ويبين ذلك ابن فرحون في حديثه عن اثنين منهم بقوله [168]وكان من حالهم وخصالهم الحميدة أنهم يتفقدون المساجد المشهورة فيعمرونها ويساعدهم عليها الخدام بأنفسهم وخدمهم وأطعماتهم . وقد تطوع آخرون لعمارة ما يتعرض للخراب من المساجد في المدينة ، ، ، فضلاً عن الحفاظ على أوقافها [169] كما عُني بنظافة المساجد والحفاظ على راحة المصلين فيها ، فجاء في وقفية السلطان الأشرف شعبان ما نصه: ويصرف لبواب يقيم بمسجد قباء ويفتح بابه ويغلقه ويقوم بتنظيفه وصيانته ومنع من يتطرق إليه من أرباب التهم والفساد ومن يقصد الدخول إليه بما يصان عنه المسجد من النقرة أربع مائة درهم وثمانين درهماً ونقرة) [170] وفي سبيل تهيئة الأجواء المريحة للمصلين كلف السلطان المملوكي رجالاً يقومون بحراسة نعال المصلين عند أبواب المسجد النبوي في أثناء تأدية الصلاة [171] فضلاً عن ذلك فقد عمرت في المدينة مساجد جديدة ، ومن ذلك- مثلاً- المسجد الذي عمره حسين بن أحمد الكيلاني ٨٨٩ هـ.

- [172] الأربطة

أكد انتشار الأربطة بشكل واسع في المدينة في العصر المملوكي رغبة المحسنين وسعيهم الجاد في احتواء الفئات الفقيرة القادمة للمجاورة أو الحج ، وتوفير سبل الراحة النفسية والجسدية التي تعينهم على سهولة أداء المهمة التي قدموا من أجلها ؛ وفي سبيل ذلك تزايد عدد الأربطة في المدينة كثيراً عن ذي قبل ، وزودت ببعض المرافق الخدمية ، كما خصصت بعض الأوقاف المتنوعة كمصادر مادية تساعدها على أداء مهمتها ، وتكفل لها البقاء والاستمرار. وقد وصل عدد الأربطة القائمة في المدينة في العصر المملوكي الى أكثر من عشرين رباطاً ؛ بعضها خاص بالرجال ، والبعض الآخر مقتصر على النساء. وقد تكون بعض الأربطة عامة لجنسيات مختلفة ، وربما تقتصر على أبناء إقليم معين أو أسرة مخصوصة. وقد تعددت الجهات المنشئة لهذه الأربطة ، فكان منهم السلاطين والحكام، ومنهم الأمراء وكبار رجالات الدولة ، فضلاً عن التجار والمحسنين [173] لقد شهدت المدينة في العصر المملوكي وقف الكثير من الأربطة ، فكان من الموقفين- على سبيل المثال- السلطان المملوكي قايتباي الذي ضمن منشآته العمرانية الخيرية التي أقامها في المدينة سنة ٨٨٨ هـ/ ١٤٨٣ م رباطاً. وشهاب الدين رشيد بن عبد الله السعدي أحد خدام المسجد النبوي (تبعد ٧٢٠ هـ/ ١٣٢٠

([158]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ،ص184.
([159]) المصدر السابق: ص42.
([160]) المصدر نفسه:ص48
([161]) المصدر نفسه :ص121
([162]) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج2/ص228
([163]) ابن فرحون :نصيحة المشاور، ص81
([164]) احمد هاشم : أوقاف الحرمين ،ص218
([165]) احمد هاشم : اوقاف الحرمين ،ص425-454
([166]) السخاوي : التحفة اللطيفة،ج1/ص61
([167]) ابن بطوطة :الرحلة ،ص121
([168]) احمد ياسين الخياري: تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا ،ص103
([169]) أبن فرحون : نصيحة المشاور ،ص105
([170]) راشد سعد القحطاني: اوقاف الاشرف شعبان على الحرمين ،ص250
([171]) المصدر السابق:ص251
([172]) السخاوي: الضوء اللامع ،ج3/135-137
([173]) السمهودي: وفاء الوفاء،ج3/ص981

م) [174] الذي ذكر عنه ابن فرحون[175] وله رباط ودور وقفها بعد أن تعب في عمارتها وإنشائها . كما وقف ريحان الهندي(ت بعد ٧٢٠ هـ/ (١٣٢٠ م) [176]رباطين كانت الاستفادة منهما كبيرة[177]وكذلك محمد بن أحمد الششتري (ت ٧٨٥ هـ/ ١٣٨٣ م) [178]

ذكر ابن رحون[179] وله حسنة عظيمة رباط بالقرب من المسجد الشريف هو عش الصالحين أما الشيخ صفي الدين أبو بكر بن أحمد السلامي (ت ٧١٥ هـ/ ١٣١٥ م)[180] فقد أوقف في المدينة رباطين أحدهما للرجال والنساء [181]لم تقتصر الجهود على العمارة والإنشاء بل تعدت ذلك لتشمل تجديد البناء ، وتعهد القائم منها بالصيانة والإصلاح والمتابعة ، سواء من المسؤولين عن ذلك ، أو من قبل بعض المحسنين ؛ ومن ذلك- مثلاً- علم الدين سليمان أحمد بن عبد العزيز الهلالي المدني (ت ٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩ م) [182]ذكر عنه ابن فرحون[183] أنه تولى نظارة الربط والأوقاف من النخيل وغيرها ، فلم ير أحسن منه قياماً بها من العفة والنصح ، عمر ربطاً كثيرة كانت قد أشرفت على الخراب كما قام محمد بن عبد الله بن زكريا البعدانـــــــي (ت ١٠ هـ/ ١٤٠٧ م) [184]بعمارة رباط دُكالة من مال جمعه من المحسنين[185]من جانب آخر فإننا نلحظ ظاهرة أخرى برزت في العصر المملوكي في المدينة وهي وقف الدور من قبل عدد من محبي الخير ، ولا شك أنها تسير جنباً إلى جنب مع الأربطة للنص على وقفها ، وكذلك تخصيصها لسكني المحتاجين من الناس [186] وكان ممن أسهم في هذا المجال- على سبيل المثال ؛ عنبر الموصلي الذي بنى داراً وأوقفها وشهاب الدين رشيد بن عبد الله السعدي الذي وقف مجموعة من الدور ، وغيرهم.

- **المنشآت والخدمات المائية**

تنوعت الخدمات المقدمة في سبيل توفير المياه في المدينة في العصر المملوكي ، وقد شملت حفر الآبار أو عمارة وتجديد القائم منها ، وإجراء العيون وصيانتها ووضع السقايات ، وتوفير أسبلة المياه الصالحة للشرب ، وغير ذلك .فمن الآبار التي امتدت لها يد الإصلاح والتجديد إبان العصر المملوكي – على سبيل المثال- بئر أريس الواقعة في قباء[187] أصلحت وهيأت لاستفادة الناس منها للشرب والوضوء[188] وبئر حا التي قال عنها المطري[189]هذه البئر وسط حديقة صغيرة فيها نخل جيد ، وهي شمالي سور المدينة الشريفة بينها وبين السور الطريق ، وتعرف الآن بالنويرية ، اشتراها بعض نساء النويريين ووقفها على الفقراء والمساكين والواردين والصادرين لزيارة سيد المرسلين ﷺ). وكذلك بئر رومة التي كانت تستخدم منذ عصر الرسول ﷺ [190]وقد جدد حفرها وتمت صيانتها [191]بعد أن قلت الاستفادة منها منذ النصف الأول من القرن السابع الهجري[192]وبئر غرس في قباء ، والمشهورة بكثرة مياهها ، التي جددت في القرن الثامن الهجري [193] ، واستمرت حتى اشتراها أحد الموسرين في سنة (٨٨٢ هـ) فعمرها وجعلها وقفاً[194]فضلاً عن بئر البصة القريبة من البقيع ، وكان السيل قد طمها [195]ثم أعيد حفرها وأصلحت وأوقفت لخدمة المحتاجين[196]وقد شكلت العيون- رغم قلة عددها في المدينة- مصدراً قام بدور مهم في تزويد السكان بمياه الشرب والري في العصر المملوكي [197]وكان من أبرزها العين الزرقاء[198] التي بقيت في هذه الحقبة تغذي الناس بالماء [199] فقد وجدت العناية بالإصلاح والترميم ، ومن ذلك ما قام به

([174]) محمد عبد الله : التعليم في الحجاز في العصر المملوكي، (رسالة دكتوراه)،جامعة ام القرى ،1418هـ
([175]) الغزي: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ،ج1/ص299، تحقيق جبرائيل سليمان ،دار الافاق الجديد، ط2، بيروت 1979م
([176]) السخاوي : التحفة اللطيفة :ج2/ص64-65
([177]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ،ص48
([178]) المصدر السابق:ص55
([179]) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ،ج3/ص338
([180]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ، ص101
([181]) المصدر السابق: ص102
([182]) المصدر نفسه : ص103
([183]) السخاوي : التحفة اللطيفة ،ج2/ص175
([184]) السخاوي : التحفة اللطيفة ،ج2/ص175
([185]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ،ص169
([186]) الفاسي: العقد الثمين ، ج2/ص52
([187]) المصدر السابق: ج2/ص53
([188]) المصدر نفسه : ج2/ص53
([189]) ابن فرحون : نصيحة المشاور، ص102
([190]) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج3/ص373
([191]) ابن فرحون : نصيحة المشاور،ص56
([192]) المصدر نفسه : ص48
([193]) ابن جبير: الرحلة ، ص175، دار بيروت 1399هـ/1979م
([194]) ابن فرحون : نصيحة المشاور،ص56
([195]) المصدر السابق،ص48
([196]) المرجاني : بهجة النفوس والاسرار،ج1/ص307
([197]) الفيروز ابادي: المغانم المطالبة في معالم طابة ،ص27-28 ، تحقيق حمد جاسر، دار اليمامة ،الرياض 1389هـ-1969م
([198]) ابن الضياء: البحر العميق،ج5/ص272

السلطان الأشرف قايتباي سنة(٨٨٦ هـ/ ١٤٨١م)[200][201]. وكذلك عين الشهداء التي استمرت في العصر المملوكي في تقديم النفع لأهالي المدينة [202] كما وفرت في المدينة إبان العصر المملوكي مياه الشرب الصالحة في أماكن متفرقة ، معظمها حول المسجد النبوي ، بعد أن شهدت هذه المرافق تقلصاً في عددها في المدة التي سبقت هذا العصر[203]وكان ذلك عن طريق وضع السقايات والأسبلة التي تمد سكان المدينة والقادمين إليها من الحجاج والزوار بالمياه النقية ، وممن شارك في هذا المجال- على سبيل المثال- السلطان الأشرف شعبان الذي خص سقاية في الحرم بمزيد من العناية ، فجاء في مصارف وقفيته ويصرف لرجل يسقي الماء العذب في كل يوم بالحرم المذكور (النبوي) على عادة أمثاله من النقرة ستمائة درهم نقرة ، نصفها ثلاثمائة درهم نقرة عن ثمن ماعون ودوارق وأجرة تسبيل الماء بالحرم المذكور) [204] وكان السلطان قايتباي قد وضع سبيلاً للماء في مدرسته مما يلي باب الرحمة له شباك إلى المسجد[205] كما قرر السلطان المملوكي قانصوة الغوري (٩٠٦. ٩٢٢ هـ/ ١٥٠١- ١٥١٦ م) من أوجه صرف وقفيته عشرة دنانير من الذهب سنوياً أو ما يقوم مقامها من النقود لشراء دوارق وتكليف من يتولى تزويدها بالماء ، وتسبيلها على جميع مرتادي الحرم النبوي[206]. كما سبل الماء في الحرم النبوي عدد من الأمراء المماليك وكبار الشخصيات ونساء السلاطين والأمراء ، وجعلوا لها الأوقاف التي تساعد على استمرارها [207] وقد أسهم نظار الحرم النبوي الشريف بجهود كبيرة في سبيل توفير مياه الشرب ، ووضع الأماكن المناسبة لها ، ذكر ابن فرحون[208]كان في وسط المسجد سقاية يحمل إليها الماء من العين بناها شيخ الخدام في ذلك الوقت ، وأوقف عليها أوقافاً من ماله ، وكانت متقدمة على النخل ، تقديرها خمسة عشر ذراعاً في مثلها ، وجعل في وسطها مصرفاً للماء مرخماً ، ونصب فيها مواجير للماء وأزياراً ، ودوارق وأكواباً ، حجرها بالخشب والجريد ، وجعل لها غلقاً من حديد واستمرت السنين العديدة كما شارك ريحان الهندي- أحد خدام الحرم النبوي- بوقف سقاية للماء[209]أما القاضي فخر الدين أبو بكر السنجاري (ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م) [210] فقد استغل وجاهته ومكانته الاجتماعية في السعي في العديد من المصالح الخيرية في المدينة ، ومن ذلك تأسيس عدد من السقايات فيها [211] وكان في الحرم النبوي عدد ممن عملوا في مجال السقاية ، منهم من كان يأخذ على ذلك الأجر ، ومنهم من يتطوع لهذا العمل ذكر ابن فرحون[212] وكان ممن أدركته من السقائين بالحرم الشريف الشيخ محمد السقا المعروف بأبي حسين.... كانت له بالمدينة إقامة طويلة ومجاورة جميلة ، كان رحمه الله يملأ المسجد الشريف بالدوارق يصفّها من باب الرحمة إلى باب النساء ، ويجعل في أعناق الدوارق يقيدها به حتى لا تسرق ولا تغير من مكانها ، وما علمته يأخذ مقطعاً على ذلك أجرة.

- **مرافق أخرى**

ومن المرافق الأخرى التي طالتها يد المحسنين بالتشييد أو المتابعة والإصلاح لتؤدي أدوارها في خدمة المجتمع وأفراده ، عدد من المطاهر والحمامات والبيمارستان ، ومغاسل الأموات. فمن المطاهر الميضأة التي أمر بإنشائها السلطان المنصور قلاوون الصالحي (٦٧٨- ٦٨٩ هـ/ ١٢٧٩- ١٢٩٠ م) عند باب السلام سنة ست وثمانين وست مائة [213] وكانت- كما وصفها ابن بطوطة- [214] متسعة الفناء تستدير بها البيوت كما كانت هناك ثلاث مطاهر أخرى على جنبات المسجد النبوي واحدة في الجهة الشمالية وأخرى في الجهة الشرقية ، وثالثة عند رباط الأشرف قايتباي[215]أما الحمامات فقد انتشرت في المدينة بكثرة[216] أبرزها الحمام الذي أقامه السلطان الأشرف قايتباي سنة (١٤٨٣ م -٨٨٨ هـ) الذي قال عنه السمهودي ولم يكن بالمدينة الشريفة حمام قبل ذلك مدة مديدة وقد استمر البيمارستان المستنصري الذي أنشاه الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣- ٦٤٠ هـ/ ١٢٢٦- ١٢٤٢ م) سنة 627هـ/ ١٢٢٩ م [217]يؤدي خدماته الطبية في المدينة ، بعد أن لقي عناية من قبل حكام المماليك ، ومن ذلك ما فعله- مثلا- السلطان الظاهر

([199]) ابن النجار : اخبار مدينة الرسول، ص47
([200]) المراغي: تحقيق النصرة بتلخيص معالم الهجرة ، ص175-176، تحقيق محمد عبد الجواد، المكتبة العلمية،1401هـ/1981م
([201]) ابن النجار: اخبار مدينة الرسول،ص48
([202]) المرجائي: بهجة النفوس والاسرار،ج1/ص312
([203]) السمهودي: وفاء الوفاء،ج2/ص955
([204]) عبد الرحمن بن مديريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي ، ص89
([205]) احمد ياسين الخياري:تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا ،ص210-215
([206]) راشد سعد القحطاني: اوقاف الاشرف شعبان على الحرمين ،ص246
([207]) السمهودي: وفاء الوفاء ، ج2/ص680
([208]) احمد هاشم : اوقاف الحرمين ،ص425
([209]) ابن فرحون : نصيحة المشاور، ص21
([210]) نفس المصدر ، ص21
([211]) المصدر نفسه ، ص142-143
([212]) المصدر نفسه ،ص143
([213]) المصدر نفسه، ص182
([214]) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج1/ص65
([215]) ابن بطوطة : الرحلة ، 118
([216]) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج1/ص65
([217]) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ،ص16، تحقيق بولس راويس، المطبعة الجمهورية 1984م

بيبرس ، ذكر عنه ابن تغري بردي[218] وجدد البيمارستان بالمدينة النبوية ، ونقل إليه سائر المعالجين والأكحال والأشربة ، وبعث إليه طبيباً من الديار المصرية وقد وفرت الأوقاف المختلفة التي عادة ما تخصص للبيمارستان الكوادر الطبية اللازمة لتأدية دوره العلاجي ، كما كُلف له عدد من العاملين الذين يقومون بالخدمات المختلفة ، فضلاً عن تأمين جميع المستلزمات من علاج وأوانٍ وأغذية وغيرها[219] .

ثالثاً: دعم الحركة العلمية

لاشك أن تثقيف المجتمع وتعليمه من الأمور التي ترقى بمستوى أفراده الفكري وتزيد من وعيهم وإدراكهم ، ولذا فإن دعم الحركة العلمية وتوفير سبل التعليم المختلفة لتعد جانباً مهما من جوانب الرعاية الاجتماعية التي يحتاجها الفرد ولا يستغني عنها المجتمع ، وقد لقي هذا المجال في المدينة إبان العصر المملوكي صنوفاً شتى من العناية والاهتمام ، فتعددت الخدمات العلمية المقدمة ، وتنوعت طرقها وأساليبها ، ومن أبرز المشاركات في هذا الجانب ؛ تشييد المدارس والعناية بها ، ووقف الكتب وإنشاء المكتبات ، وإقامة الدروس والمجالس العلمية ، فضلاً عن التشجيع والدعم المادي والمعنوي للعلماء وطلاب العلم

- **تشييد المدارس والعناية بها**

إن إنشاء المدارس والعناية بها خير دليل على قوة الروابط بين الدولة ورجالاتها وبين العلماء وطلاب العلم ، وهو يؤكد. أيضاً- مدى رعاية الدولة لمنسوبي العلم. وقد شهد العصر المملوكي التوسع في إنشاء المدارس في المدينة فبلغ عدد الموجود منها إبان هذا العصر إحدى عشرة مدرسة منها واحدة فقط أسست في آخر العصر الأيوبي ، أما البقية فكان تأسيسها في عصر المماليك. وقد اختلفت الأقطار المؤسسة لهذه المنشآت أو الداعمة لها ، كما تنوعت الشخصيات فكان من المؤسسين الحكام ، والأمراء ، والأعيان ، والتجار والموسرون ، وغيرهم ولم تقتصر تخصصات المدارس- في الغالب- على فن معين من فنون العلم بل كانت تدرّس فيها العلوم الدينية ؛ كعلوم القرآن ، والفقه وأصوله ، والحديث وعلومه ، وبعض علوم اللغة العربية ، والفلك والحساب ، وغيرها. من جانب آخر فإن بعض هذه المدارس كانت تدرس فيها المذاهب الفقهية المشهورة ، حتى غدت بعضها أشبه بمجمع تعليمي ، كما هي الحال- مثلاً- في المدرسة الشهابية حيث خصصت لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة ، والمدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان الأشرف قايتباي ورتب فيها مدرسين للمذاهب الأربعة وقد عُني أصحاب المدارس بتهيئة الأجواء العلمية المناسبة ، فعنوا بعمارتها بما يتناسب مع ظروف المدرسة وحاجات الطلاب ، فحوت المدرسة الشهابية- مثلاً- قاعتين إحداهما كبيرة والأخرى أصغر كما عُمرت المدرسة الأشرفية التي أسسها السلطان قايتباي عمارة بديعة واحتوت على مرافق متعددة ، يصفها عبد الغني النابلسي بأنها على شكل قاعة بأربعة أواوين كلها بالحجارة المنحوتة الملونة والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر ، وفي وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش ، مرتفعة يصعد إليها بدرج ودهليز مبلط ، وشبابيكها مطلة على داخل الحرم النبوي من جهة الغرب قبالة الحجرة ، وفيها الخلوات للمجاورين ، ولها شبابيك مطلة على باب الســـــلام

كما وفّر للمدرسين والطلاب في بعض المدارس السكن المناسب ، ومن ذلك- على سبيل المثال- المدرسة الشهابية والمدرسة الأزكجية والمدرسة الباسطية، فضلاً عن مدرسة الأشرف قايتباي التي رأينا من خلال وصف النابلسي السابق لها تخصيص خلوات للسكن فيها. وقد خصصت لهذه المدارس موارد وقفية ثابتة ومتنوعة ؛ سواء في المدينة نفسها ، أو في أقاليم أخرى خارجها كما سندت مع مرور الزمن بموارد أخرى أجراها بعض المحسنين ممن أدركوا حاجتها لذلك. وبفضل هذه الأوقاف والموارد الثابتة نجحت المدارس حينذاك في تأدية وظائفها التعليمية بانتظام .

كما حظيت هذه المدارس بالتنظيم الكافي من حيث ترتيب الوظائف التي تحتاجها المدرسة ، وتخصيص المرتبات المغرية ، كما هي الحال في المدرسة الشهابية مثلاً [220] .فضلاً عن ذلك فقد عين لهذه المدارس النظار والمشرفون ، حتى كان لمدرسة الأشرف قايتباي مشرفان لإدارتها . أما المدرسون فكانوا يختارون بعناية تامة [221] . من قبل الواقف غالباً ، وربما صدر قرار التعيين في بعض المدارس المشهورة من قبل السلطان المملوكي نفسه وفي [222] سبيل تأدية المدرسة لدورها العلمي فقد وفرت في عدد من المدارس آنذاك مكتبات تضم – كما سيأتي- مجموعة من الكتب في شتى التخصصات كما نالت المدارس التي تقدم بها الزمن نصيبها من الإصلاح والترميم[223].

- **وقف الكتب وإنشاء المكتبات**

([218]) السخاوي: وفاء الوفاء ، ج2/ص644

([219]) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ص65

([220]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج7/ص194

([221]) راشد سعد : اوقاف الاشرف شعبان على الحرمين ، ص112-115

([222]) خالد محسن الجابري: الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي ،ص373

([223]) ابن طولون : متعة الاذهان في التمتع بالاقران ،ص575 ،تحقيق صلاح الدين خليل، ط1 دار صادر،بيروت 1999م

يُعدُّ الكتاب رافداً مهماً لدعم الحركة العلمية ، فهو المرتكز الذي تقوم عليه العملية التعليمية ، كما أنه في الوقت نفسه- من نتاج الفكر الذي تبنى أسسه على العلم ، ومن منطلق كون الكتاب سبباً للتطور العلمي ونتيجة له فقد بذلت الجهود المتنوعة لتوفيره والعناية به ، أما عن طريق شراء بعض الموسرين للكتب ووقفها على العلماء وطلبة العلم في بعض الجهات ، أو قيام آخرين بأعمال الوراقة مثل النسخ والتجليد وغيرها وكانت البيئة مهيأة في المدينة في العصر المملوكي للراغبين في المشاركة في الجوانب السابقة ؛ سواء من حيث توفر الأماكن الملائمة لوقف الكتب ، أو في تزايد أعداد الموجودين من العلماء من المحرف وطلاب العلم في المدينة حينذاك. وكان المسجد النبوي فرصة كبيرة لكثير من المهتمين بوقف الكتب خصوصا بعد أن تلف ما فيه منها عقب الحريق الذي شب في المسجد سنة(٦٥٤ هـ) [224] .، ومما تتحفنا المصادر بمشاركته في دعم الحركة العلمية في المدينة من خلال هذا الجانب- مثلاً- إبراهيم بن رجب بن حماد التلمساني نزيل المدينة (ت ٧٥٥ هـ/ ١٣٥٤ م) [225] . الذي وقف كتبا نفيسة في المسجد النبوي [226] وشاه شجاع محمد بن المظفر اليزدي سلطان بلاد فارس الذي أوقف في المسجد النبوي خزانة كتب[227] .، وصفها السخاوي فقال وهو يتحدث عن آثاره في المدينة [228]. (وآثار منها الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها ، فما من طالب مقتبس إلا وهو يستند من جواهر زواخرها). وبعد أن فقدت محتويات المسجد النبوي من الكتب على أثر الحريق الذي تعرض له سنة(٨٨٦ هـ) [229] .، بعث السلطان المملوكي الأشرف قايتباي في السنة التالية مجموعة كبيرة من الكتب أكثر مما احترق ، خصصت لها أماكن في الجانب الشرقي من المسجد بعد إعادة عمارته [230] .من الجدير بالذكر أن المسجد النبوي قد حوى في العصر المملوكي خلوات خاصة لبعض العلماء والأمراء ، اشتملت على مجموعة من الكتب التي لا نستبعد إفساح المجال لغير أصحابها للاستفادة منها [231] .كما ضمت بعض المدارس في المدينة عدداً من المكتبات الوقفية ، ومن هذه المدارس المدرسة الشهابية التي ضمت- على حد قول السخاوي- من الكتب ما لا يحصى وكانت هذه المدرسة قد استقبلت [232].في العصر المملوكي عدداً من المكتبات الوقفية التي قدمها بعض المحسنين ، ومن هؤلاء يحيى بن زكريا الحوراني (ت ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٨ م) [233] .الذي أوقف خزانة كتبه على هذه المدرسة (وكانت خزانة عظيمة مشتملة على كتب حفيلة [234].ومحمد بن محمد الغرناطي (ت ٧٥٤ هـ/ ١٣٥٣ م الذي أوقف كتباً وجعل مقرها هذه المدرسة وإبراهيم بن رجب بن حماد التلمساني الذي وقف فيها مجموعة من الكتب في مختلف التخصصات فضلاً عن آخرين أسهموا بدعم مكتبة هذه المدرسة بالكثير من الكتب التي يحتاجها طلاب العلم آنذاك [235].

أما مدرسة السلطان الأشرف قايتباي فقد دعمها بعد الإنشاء بكتب كثيرة أرسلها من مصر أكثر من مرة. كما أوقف الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦ م)مجموعة من كتبه الخاصة في هذه المدرسة وفضلا عما كان في المسجد النبوي والمدارس في المدينة فقد كانت هناك خزانة كتب موقوفة على العلماء وطلبة العلم في دار من جانب آخر فقد وجد في المدينة إبان العصر المملوكي ممن عنوا بالكتاب وأسهموا في إثراء الحركة العلمية ونشر العلوم والمعارف من خلال الاشتغال بنسخ الكتب وتجليدها ، مكونين بذلك مكتبات خاصة لهم ، أو مرتزقين من خلال هذا العمل أو ساعين لطلب الخير بوقفها على طلبة العلم وقد وجد بعض المحسنين ممن يتكسبون بحرفة نساخة الكتب فرصة لشراء ما يعرضون من كتب ووقفها على طلبة العلم.

إقامة الدروس والمجالس العلمية

تنوعت الدروس والمجالس العلمية في جنبات المسجد النبوي في العصر المملوكي ، وتعددت تخصصاتها العلمية ، وتباينت تنظيماتها وقد جاءت على عدة أشكال ؛ منها ما كان يقام باجتهاد من المؤهلين من العلماء الذين يبذلون ما يكتنزونه من علم لطلابه دون مقابل على ذلك ، ومنها ما استجد ظهوره في العصر المملوكي ، وهو عبارة عن دروس منتظمة يقيمها أحد المحسنين بعد أن يخصص للمرتبين فيها من المدرسين والطلاب مبالغ معينة وثابتة تصرف عليهم .

وكان ممن درس من العلماء- على سبيل المثال لا الحصر[236] في المسجد النبوي والذي كان آنذاك أشبه بجامعة كبيرة لنشر العلوم الإسلامية تخرج فيها العديد من الطلاب وأمَّها الكثير من أبناء العالم الإسلامي للنهل من علوم ومعارف من يدرسون فيها ، محمد بن أحمد بن خلف الخزرجي الذي كان من أئمة الحديث والتاريخ والفقه [237].ودرس الحديث بحيث أفاد كثيراً في هذا العلم [238]

([224]) السمهودي: وفاء الوفاء ،ج1/ص265
([225]) العيدروسي: النور السافر ، ص14
([226]) الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر والحجاز ، ص98-100،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 القاهرة 1406هـ/1986م
([227]) ابن فرحون : نصيحة المشاور، ص59
([228]) السخاوي : التحفة اللطيفة ،ج1/ص50
([229]) ابن فرحون : نصيحة المشاور،ص48
([230]) خالد محسن الجابري: الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي،ص289-288
([231]) ابن فرحون : نصيحة المشاور، ص48
([232]) السخاوي : التحفة اللطيفة ،ج3/ص467
([233]) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ،ج4/ص452
([234]) السخاوي: التحفة اللطيفة ،ج3/ص706
([235]) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ،ج1/ص73
([236]) ابن فرحون : نصيحة المشاور،ص135
([237]) السخاوي: التحفة اللطيفة، ص160-161

ويوسف بن الحسن الزرندي (ت ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م)(٤) الذي كان له في المسجد درس في الحديث النبوي. ومحمد بن فرحون بن محمد بن فرحون (ت ٧٢١ هـ/ ١٣٢١ م) [239]وكان له حلقة يدرس فيها الفقه المالكي ، وأخرى في النحو وسراج الدين عمر بن أحمد الأنصاري القاهري الذي كان يدرس الحديث وإبراهيم بن مسعود بن سعد القاهري المعروف بابن الجابي المسروري (٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤ م) الذي انتفع به الناس وجوّدوا عليه في القراءات وعمر بن محمد بن أحمد القمطري الهندي الحنفي (ت ٧٥٨ هـ/ ١٣٥٦ م) الذي قال عنه ابن فرحون كان منقطعاً في الحرم الشريف غالب نهاره للتدريس والإفادة محباً للطلبة حريصاً عليهم حتى أنـــه يبعـــث للطالب إلى بيته إذا تأخر عن الإتيان. وإبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الأميوطي (ت ٧٩٠ هـ ١٣٨٨ م) الذي أفتى ودرس بالمدينة احتساباً ، وانتفع كثير من الناس بدروسه. ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد الصبيبي (ت ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٤ م) الذي درس الفقه وحدث أيضا في المسجد النبوي وخلف بن أبي بكر بن أحمد التحريري ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م) وكان من المهتمين بالحديث والفقه واستفاد منه الطلاب وأحمد بن محمد الكازروني (٨٦٤ هـ/ ١٤٥٩ م) الذي كان من أبرز العلماء ، أجاد علم القراءات وبرز في الفقه والعربية ودرسهما. كما عقد بعض العلماء مجلسا للوعظ والتذكير ، التي كانت فضلاً عن إثرائها ثقافة الحاضرين ورفع رصيدهم العلمي ، سبيلا للتقويم وسلوك الطريق الصحيح ، وممن أقام هذه المجالس في المسجد النبوي -مثلاً- علي بن محمد بن فرحون (ت ٧٤٦ هـ/ ١٣٤٥ م) كان له مجلس وعظ يوم الجمعة من كل أسبوع. ومحمد بن غصن القصري الأنصاري (ت ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م) صاحب مجلس الوعظ المعروف ، فقد ذكر عنه ابن فرحون ولم يبق أحد في المدينة إلا حضر مجلسه من مجاورين وخدام ورجال ونساء وصبيان ، وقد جعلني قارئ مجلسه[240] ولم تقتصر المجالس العلمية والدروس التي تعقد في المسجد النبوي على الرجال فقط ، بل شاركت النساء في ذلك ، وكن يمنحن الإجازات لطلاب العلم فضلاً عن ذلك فقد كانت بعض الحلق والدروس تقام في الليل فضلاً عما يقيمه بعض العلماء من دروس مختلفة في منازلهم ما يقيمه بعض العلماء من دروس وقد برزت في العصر المملوكي ظاهرة جديدة كان لها أثرها الواضح في دعم الحركة العلمية في المدينة ، إلا وهي إقامة الدروس الخاصة في المسجد النبوي ، بعد أن أوقف بعض المحسنين الأموال على إقامة درس علمي يتولاه أحد العلماء لتدريس علم أو تخصص معين وقد سارت هذه الدروس جنباً إلى جنب مع دروس ومجالس العلماء السابقة الذكر لتجعل من المسجد النبوي جامعة تغص بالطلاب لا شك أن لإقامة مثل هذه الدروس وفي هذا العصر خاصة بعض الأسباب ، ومنها. [241]صعوبة إقامة مدرسة بما تستوجبه من مستلزمات قد لا يستطيع الواقف تحقيقها ، الجو الديني والعلمي المناسب حيث المسجد النبوي الذي يؤمن عدد كبير من العلماء وطلاب العلم ، وكذلك الثراء المادي الذي كانت عليه بعض فئات الشعب في العصر المملوكي ، وحب الكثير من الشخصيات للعلم والعلماء ، فضلاً عن الحماس المذهبي والرغبة في خدمة هذا المذهب أو ذاك ، فضلا عن قرب الخدمات التي يحتاجها طالب العلم عندما يكون هذا الدرس في المسجد والعلماء من أقطار شتى. وكان من أبرز الدروس الخاصة التي قامت في المدينة حينذاك ؛ دروس السلطان الأشرف شعبان فقد جاء في وثيقة وقفه على الحرمين الشريفين تعيين خمسة مدرسين في المسجد النبوي أحدهما لتدريس الحديث النبوي والباقون لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة ، ورتب مع كل مدرس عشرة من الطلاب ، ما عدا مدرس الفقه الحنبلي الذي عين معه خمسة طلاب فقط ، وقد قرر لهؤلاء المدرسين والطلاب رواتب سنوية تصرف عليهم[242] .

ومن الدروس الخاصة- أيضاً- درس الأمير خير بك (ت ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٤ م) الذي أوقف عليه أوقافاً طائلة ، ويتضح من خلال تتبع من درس خير بك هذا أنه خصص أكثر من درس في المدينة ، فقد درس لـه فيها فقهاء في مذاهب مختلفة ، منها المذهب الحنفي والمذهب الحنبلي والمذهب الشافعي . ومن الدروس الخاصة أيضاً درس الفخر ناظر الجيش بمصر ، ودرس شعيب بن أبي مدين التونسي (ت ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ م) ودرسان للأمير سلار وهما في الفقه المالكي[243] .والشافعي، وغيرها

- **تشجيع العلماء وطلاب العلم**

قدمت لمنسوبي العلم في المدينة إبان العصر المملوكي خدمات خاصة تمثلت في صنوف شتى من الدعم والمؤازرة المادية والمعنوية على المستويين الرسمي والشخصي ، ساعدت العلماء في تحقيق رسالتهم والطلاب في الوصول لمبتغاهم ، ففي الجانب المادي صرفت المرتبات من الأوقاف وغيرها على العلماء مقابل ما يقومون به من تدريس كما منحوا أعطيات عينية من مأكل ومشرب وملبس ومثل ذلك لقيه طلاب العلم أيضاً ، فقد خصصت لهم مقابل الانتظام في الدراسة مرتبات ثابتة فضلاً عن ذلك فقد هيئت لهم الأماكن المناسبة للسكن ، سواء في الأربطة أو المدارس ، وفي الجانب المعنوي لقي العلماء كل محبة وتقدير من المسؤولين ، فكانت تلبى طلباتهم ، ويحمون من التعدي عليهم ، وتهيأ لهم السبل المساعدة على نجاح العملية التعليمية. أما الطلاب فقد وجدوا

([238]) ابن حجر العسقلاني : انباء الغمر ،ج5/ص266
([239]) السخاوي : الضوء اللامع ، ج3/ص183
([240]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ،ص78
([241]) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ج2/ص28
([242]) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ،ج2/ص192
([243]) ابن فرحون : نصيحة المشاور، ص43

ألوانا متعددة من الحث والتشجيع والترغيب في طلب العلم ولم يوصد أمامهم باب في سبيله ، حتى أن منازل العلماء كانت مفتوحة لهم للطلب بل كانت الدروس تعاد من بعض المشايخ لمن فاتهم الدرس من الطلبة [244] .

رابعاً: الحفاظ على الأمن

الأمن مطلب ضروري وحاجة ملحة تلامس حاجات الأفراد خاصة والمجتمعات عامة في كل عصر ومصر ؛ فالفرد لا يستغني عنه لكي يعيش عيشة هانئة مستقرة ، يؤدي من خلالها متطلبات حياته الدنيوية والأخروية ، ويسعى للنهوض بمستواه على الأصعدة كافة ، والمجتمع يطلبه للحفاظ على مكتسباته ، والسعي للرقي في سلم الحضارة والتقدم. وعندما نتتبع الأوضاع في المدينة إبان العصر المملوكي نلحظ أن أهلها والقادمين إليها قد تمتعوا بخدمات وجهود أمنية متنوعة من قبل السلطات المملوكية أو نوابها في المدينة حققت ما كان مفقوداً منها في المدينة قبيل هذا العصر ، وهيأت للفرد والمجتمع فيها مساحات واسعة للتحرك نحو التطور والرقي الحضاري .ولأن الأمن يمس- كما أشرنا- مناحي الحياة البشرية كافة ، كما أن الجهود المبذولة في المدينة في هذا المجال آنذاك كثيرة ومتنوعة، كما سعى السلاطين المماليك وأتباعهم في محاربة البدع الموجودة في المدينة لاسيما منها ما استحدث من بدع ، ومن ذلك- مثلا- هدم المقصورة التي وضعت ولا شك أننا أدركنا من خلال حديثنا السابق عن بعض ميادين الرعاية الاجتماعية بعض ما قدم من خدمات أثرت على الأمن والاستقرار للفرد والمجتمع ، ولهذا فإننا سنكتفي بما ذكرنا سابقاً .ونظراً لما تقدمه وظيفة الحسبة من خدمات مختلفة للمجتمع فقد عني بأمرها في المدينة وأوليت اهتماماً واضحاً في العصر المملوكي ، بعد أن عين لها الأكفاء الذين يقومون بعملهم خير قيام ، ودعمت سلطتها من قبل سلاطين المماليك ماديا ومعنوياً. [245] كما تطوع للقيام. ببعض مهام المحتسب بعض الأفراد الذين جعلوا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريقاً سلكوه لكسب الأجر والمثوبة كما بذلت حينذاك الجهود المختلفة للحفاظ على أمن النفس والممتلكات ، فعُني بتأمين حياة السكان من خلال تأمين الأسوار المحيطة بالمدينة وتجديدها ، بعد أن تعرض أهلها لهجمات قبلية متعددة أحدثت الخسائر المادية ، وأوقعت الرعب والخوف في النفوس. كما منع الأشراف من أخذ الأموال من الناس ، سواء بتفويت الفرصة على هؤلاء بتعيين موظفين مماثلين من يقومون بالأعمال على أخذ الأموال من الناس مقابل القيام بها ، كعقد الأنكحة أو الإصلاح بين الناس ، أو في منع حكام المدينة من أخذ المكوس التي اعتادوا فرضها على عامة الناس وتعويض هؤلاء الحكام بدلاً منها إقطاعات وأعطيات نقدية وعينية ثابتة [246] أو في إبطال بعض البدع التي استحدثت لغرض نهب الأموال من المسلمين ، مثل البدعة التي استحدثها الشرفاء من آل سنان وهي نصبهم كراسي وصناديق حول الحجرة الشريفة وفي بعض الأماكن الأخرى في أثناء موسم الحج بحيث يأخذون ممن يمر بهم الأموال أو أي شي ثمين وكذلك البدعة استحدثت في المسجد النبوي ، وهي وضع باب وطريق يمر بالقبر الشريف بحيث يفرض على كل من يعبره مبلغ من المال وفي مجال الأمن الاجتماعي- إن صح التعبير- حرص من بيدهم السلطة على رعاية الحقوق العامة ومنع التعدي عليها ، أو تخليصها ممن اغتصبها دون وجه حق ، ومن ذلك. على سبيل المثال- المحافظة على الأوقاف من تعدي بعض من تسول له نفسه ذلك ، ذكر ابن فرحون عن شيخ الحرم النبوي ظهير الدين مختار الأشرفي (ت ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م) وكان له هيبة وصولة مع زمانه بالنسبة إلى من قبله ، فقام بالمشيخة أحسن قيام ، وأدخل الرعب في قلوب الشرفاء والأمراء ، واستخلص من أيديهم أوقافاً وأملاكاً كانوا هم وآباؤهم فيها كالمارستان اليوم ، والفرن الذي ، أمامه والحوش الذي بإزائه ، ودار المدرسة الشهابية ، ونخيل وغير ذلك). وكذلك المدافعة عن حقوق المستضعفين من الناس والوقوف في صفه[247] وإزالة كل ما يتسبب في مضايقة السكان ، وتغلب مفسدته على المصلحة العامة فضلاً عن ذلك فقد عُني بأمن الطرق حتى أن السلطان الأشرف شعبان قد خصص ضمن مصارف أوقافه التي خص بها الحرمين. مبلغاً. من المال يدفع لمن يقومون بحماية القوافل ما بين مكة والمدينة ، فضلاً. القبائل القاطنة على هذا الطريق مبالغ مالية مقابل كف أذاهم عن الحجاج [248] .

المبحث الرابع

آثار الرعاية الاجتماعية على الحياة العامة

رأينا من خلال حديثا السابق عن الميادين التي شهدت الرعاية الاجتماعية في المدينة مدى الجهود المقدمة في هذا المجال ، وتعددت الجوانب التي قدمت من خلالها الرعاية للمجتمع المدني في العصر المملوكي ، ولا غرو أن لهذه الرعاية التي واكبت هذا العصر العديد من الآثار المباشرة وغير المباشرة على الحياة العامة في المدينة حينذاك ، ولعل في قول ابن فرحون- الذي سبق ذكره- عن عيش الناس الرغيد ورفاهيتهم خير دليل على ما ذهبنا إليه. وسوف نحاول تتبع هذه الآثار من خلال بيان أثر الرعاية الاجتماعية على جوانب الحياة المختلفة في المدينة إبان العصر المملوكي. ففي الجانب العمراني شهدت المدينة في هذا العصر توسعاً لم تشهده قبل

([244]) السخاوي : الضوء اللامع ،ج4/ص75
([245]) ابن فرحون : نصيحة المشاور، ص160-161
([246]) عبد الرحمن بن مديريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي،ص193
([247]) المرجائي: بهجة النفوس والاسرار، ج1/ص557
([248]) عبد الرحمن بن مديريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي ، ص352

ذلك ، إذ نلحظ في الاطلاع على خارطة التطور التاريخي للنمو العمراني في المدينة ومقارنة توسعها في المدة ما بين وضع السور المحيط بها ، والذي بناه السلطان الزنكي نور الدين محمود بن عماد بعد حجته سنة الدين زنكي (٥٤١- ٥٦٩ هـ/ ١١٤٦- ١١٧٣ م)بعد حجته سنة(٥٥٨ هـ/ ١١٦٢ م)، وبين السور الذي بناه فيما بعد السلطان العثماني سليمان القانوني (٩٢٦- ٩٧٤ هـ/ ١٥٢٠- ١٥٦٦ م) مع بداية سنة(١٩٣٩ هـ/ ١٥٣٢) م [249] نلحظ أن النمو العمراني في هذه المدة الزمنية البالغة ثلاثمائة وإحدى وخمسين سنة تقريبا ، منها مائتان وخمس وسبعون سنة عاشتها المدينة تحت ظل الحكم المملوكي ، قد بلغ أكثر من الضعفين عن ذي قبل كما توسعت الخدمات والمرافق في المدينة وازدهرت حضارياً ، فوصفها البلوي الذي زارها سنة (737 هـ/ ١٣٣٦ م)والمدينة المكرمة متسعة الأرجاء ، مشرقة الأنحاء ، طيبة الهواء ، كثيرة النخيل والماء ، ممتدة التخطيط والاستواء ، حسنة الترتيب والبناء). كما وصفها ابن شاهين المتوفى سنة (٨٧٣ هـ/ ١٤٦٨ م) بقوله بالمدينة المشرفة سور وقلعة ومدارس ومساجد وأسواق وشوارع وبساتين ونخل كثير وفنادق وحمامات وهي مدينة حسنة. وكانت بعض هذه المرافق جديدة على المجتمع المدني ، مثل الحمامات التي كان وجودها وليد العصر المملوكي .من جانب آخر فقد تطورت فنون البناء والنقوش[250] .

وكان البناؤون والمزينون يبعثون من مصر لتأدية بعض الأعمال في المدينة ، كما كانت تبعث معهم بعض المواد التي تستعمل لتزيين البناء وقد رأينا من خلال الحديث عن المساجد أن هذه المرافق نالت حظاً وافرا من الاهتمام ، فتم تجديد عدد منها ليعود للقيام بدوره بعد أن توقف مدة من الزمن ، كما ازدادت أعداد المساجد في المدينة بعد أن تم بناء مساجد جديدة في بعض أطرافها. وفي الجانب الاجتماعي كان تأثير الرعاية الموجهة إلى سكان المدينة والقادمين إليها واضحاً من عدة جوانب ، ففي الجانب المعيشي تحسن مستوى الفرد المعيشي ، فدخلت أطعمة جديدة لم تكن تعرف قبل ذلك ، وتعددت أنواع المطاعم والمشارب كما كان للدشيشة التي أقرها السلطان المملوكي الأشرف قايتباي لتعمل يومياً في المدينة وتفرق على بيوت أهل المدينة أثر في تخفيف أعباء الحياة على قاطنيها ، كما أسهمت في خفض أسعار المأكولات. بل أن إقرار هذه الدشيشة قد أدى إلى تطور الأدوات المستخدمة عند أهل المدينة ، فقد دخل الطاحون على المجتمع المدني بعد أن كانوا يستخدمون الرحاء قبل ذلك [251] وكان لحسن إدارة بعض الشخصيات وتقديمهم المصالح العامة على الخاصة الأثر في القضاء على بعض عمليات التلاعب ببعض الحقوق من أوقاف ومخصصات وغيرها ، وقد نتج عن ذلك تكاثر الأطعمة والخيرات في المدينة ، حتى أنهم في بعض الأوقات لا يجدون من يأخذها ، ذكر ابن فرحون ولقد شاهدت منذ زمان كان الناس فيه ناس يعطي الزائر فوق الصاع من التمر البرني ، حتى إن العصبة إذا أخذوا التمر يكومونه على أنطاعهم كوماً ، يتعسل بعضه فوق بعض ، ومع ذلك يبقى التمر السنتين والثلاث حتى يسود ، ولا يجدون من يأخذه. وقال ابن فرحون أيضا وكان النخل من الغابة والعمرية إذا استجد لا يُخلص منه في شهر ليلاً ونهاراً. ولقد رأيت الحمالين يضعون أحمالهم من باب رباط الفاضل إلى باب التربة التي نزلها الشيخ افتخار الدين ، ومن رباط دكالة أيضاً إليه إذا جاؤوا مع المغرب لا يفرغون عن حمله وتفريغ غرائره إلا قريب الصبح هذا كله من التمر البرني ، وأما ألوان النخيل فلم تكن في حساب وقد ذكر البلوي (ت ٧٨٠ هـ/ ١٣٨٧ م) أن النخيل يحدق بالمدينة من جهاتها الأربع ، وهو متصل مع بعضه ، وأكثره في جهتي الجنوب والشرق .وكانت الأعمال الإصلاحية والجهود العمرانية ، فضلا عن استحداث عدد من المرافق والمنشآت الخيرية ، مما أشرنا إلى تزايده في[252]المدينة في حديث سابق- قد حدت من البطالة ، ومنحت سكان المدينة بلا ريب- فرصاً شتى من المهن والأعمال الحرفية والإدارية والعلمية وغيرها ، مما سوف يساعدهم على الاستقرار المعيشي والارتياح النفسي. وكان لما رأيناه من جهود متعددة قدمت في سبيل توفير الرعاية الاجتماعية الملائمة في المدينة أثر في زيادة أعداد القادمين إلى المدينة للمجاورة أو الاستقرار الدائم فيها ولا ننسى الأثر الاجتماعي لأموال الزكاة التي كانت تدفع حينذاك للفئات المستحقة لها، فهي تحقق التكافل بين أفراد المجتمع ، وتحد من مشكلة الفقر وتحاربه ، وتقلل الفوارق بين طبقات المجتمع ، إضافة لأثرها في المحافظة على الأمن بعد وجود مصدر لعدد من الفئات المحتاجة يمنعها من اللجوء للسلب أو الاعتداء على حقوق الغير. وقد تطورت جوانب متعددة من الحياة الاقتصادية في المدينة متأثرة بالجهود التي بذلت في سبيل الرعاية الاجتماعية آنذاك ، فزادت الأسواق وانتشرت في المدينة ، وتنوعت تخصصاتها ، وجلب فيها

أصناف متعددة مما ينتج في المدينة أو يجلب من خارجها . وفي حرص المماليك على استتباب الأمن في الحجاز ومنع الأشراف من أخذ المكوس. كما أشرنا- تشجيع بلا ريب ـ للحجاج والتجار على جلب البضائع والسلع إلى المدينة ، كما يساعد – أيضاً – على الزراعة إذ سيرتاح المزارعون من دفع المكوس على منتجاتهم ، ولذا فإننا نلحظ كثرة المزارع في المدينة ، فضلاً عن تزايد إنتاجها كما نجحت الأوقاف التي حُبست من قبل السلاطين المماليك وأتباعهم في تحسين ومعالجة الكثير من الأوضاع الاقتصادية في المدينة وأسهمت الصدقات الكثيرة في التخفيف من موجات الغلاء والقحط والمجاعات التي كانت تواجه أفراد المجتمع ولا شك أن للأموال الطائلة التي تصرف على بعض المشروعات الخيرية في المدينة- كما هي الحال مثلاً في مصروفات السلطان الأشرف قايتباي على بناء المسجد والمدرسة الأشرفية وغيرها فقد بلغت أكثر من مائة وعشرين ألف دينار أثراً في دعم الكثير من النواحي الاقتصادية في المدينة ؛ سواء من حيث حركة البيع والشراء ، أو تزايد فرص العمل ، أو غير ذلك[253] وقد تعددت الآثار الثقافية للرعاية الاجتماعية على المجتمع المدني إبان العصر المملوكي بعد أن عاشت المدينة قبيل ذلك ركوداً فكرياً وثقافياً أعقب تقلص الكثير من المناشط

([249]) السمهودي: وفاء الوفاء، ج1/ص282
([250]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ، ص22
([251]) السمهودي: وفاء الوفاء ، ج2/ص714
([252]) احمد هاشم : اوقاف الحرمين ، ص199
([253]) ابن فرحون : نصيحة المشاور ، ص44

العلمية ، فكان لتزايد العلماء وطلاب العلم حينذاك ، ومجاورة أو استقرار عدد كبير منهم ، بعد أن وجدوا الخدمات والأجواء المناسبة التي رأينا صوراً متعددة منها في أثناء الحديث عن ميادين الرعاية الاجتماعية ، أثر في تنوع الثقافات واختلاف مشاربها في المدينة. كما أدى تقاطر هؤلاء إلى التوسع العلمي ، فزاد الاهتمام ببعض العلوم ، وراج سوقها في الأوساط العلمية. وساعدت الأموال المخصصة للمدارس والدروس العلمية وغيرها على شكل أوقاف مستديمة في استمرار هذه الأماكن في أداء مهامها العلمية ، وخلقت روحاً من التنافس بين العلماء للفوز بوظائفها ، وخرجت طلبة علم واصلوا المسيرة العلمية في المدينة جيلا بعد جيل من جانب آخر فقد تعددت مصادر الثقافة في المجتمع المدني ، فكثرت المكتبات العامة ، التي منحت فرصة الاطلاع والاستفادة للطلاب والعلماء ممن لا يستطيعون شراء الكتب لضيق اليد[254] وتوسع انتشار الكتاب ، فتنامت المكتبات الخاصة، كما تنوعت المصنفات العلمية ، وزاد المشتغلون بالتأليف والتصنيف فضلا عن ذلك فقد تقلصت الأمية بعد أن زادت أعداد المثقفين في المجتمع ، فقد حرص العلماء على نشر العلم ، والاهتمام بطلاب العلم وحثهم على الطلب والمثابرة ، كما أقبل الناس بشتى فئاتهم على العلم وحضور مجالس العلماء البارزين وقد شهد هذا العصر تنامي الاهتمام الفقهي بعد أن تكاثر أتباع المذاهب في المدينة ، وتنافسوا فيما بينهم فيما يخدم العلم ، سواء من حيث التدريس ، أو السعي في إقرار بعض الدروس العلمية المدعومة في المسجد النبوي، أو استحداث دروس فقهية متخصصة في بعض المدارس وقد تطور ذلك ليصل إلى تعيين قضاة وفق المذاهب الفقهية ، ومقامات لأئمة المذاهب السنية يصلون بأتباعهم في المسجد النبوي[255] .

وكان الأثر السياسي واضحاً من خلال تحسن تعامل بعض حكام المدينة من الأشراف مع أهل المدينة ، إذ أثمر اهتمام السلاطين المماليك بشؤون أهل الحجاز ، ومتابعتهم لسياسة أشرافه ، والسعي من أجل راحة الحجاج والقادمين إلى المقدسات ، عن نتائج جيدة ساعدت على الاستقرار المعيشي والأمني ، مثلما حدث ـ مثلاً ـ في ولاية الشريف عطية بن منصور فقد أنصلح بصلاحه جميع قرابته ورد المدينة إلى حال يغبط أهلها على سكناها من العافية والأمن [256] العظيم ، وسلامة الناس على أنفسهم وأهلهم وأموالهم وكانت سياسة سلاطين المماليك الرامية إلى إقرار الأوضاع في المدينة سببا في طول مدة بعض أمراء المدينة الذين ينفذون رغبات المماليك ، ويحسنون التعامل مع أهل السنة. إذ إن إقرار الأمن من أبرز جوانب الرعاية التي يحتاجها المجتمع بشتى ، طبقاته ، وهي قضية أولاها حكام الدولة المملوكية جل اهتمامهم- كما رأينا- فقد أثر تطبيقها على الأوضاع في بلاد الحجاز من خلال نزع الكثير من صلاحيات أمراء المدينة وجعلهم تحت تصرف شريف مكة،[257]ليصبح حكم بلاد الحجاز تحت تصرف أمير واحد يكون مسؤولا أمام السلطة المملوكية عن إقرار الأمن وحفظه في الإقليم.

الخاتمة

لقد تضمنت هذه الدراسة- التي نخالها قد سعت جادة في محاولة تقصي المعلومات الواردة عن الرعاية الاجتماعية وما يتعلق بها من جوانب مختلفة في المدينة في أثناء العصر المملوكي- عددا كبيرا من النتائج في ثناياها ، وسوف نحاول إيجازها في النقاط الآتية:

- تحسن الوضع العام في المدينة في العصر المملوكي أنعم عليها سلاطين المماليك وغيرهم من الملوك والأمراء والموسرين حينذاك بما افتقدته قبيل هذا العصر من الأعطيات والصدقات المتنوعة .تعدد الجهات المشاركة في الرعاية الاجتماعية ، فلم تقتصر على سلاطين المماليك وأتباعهم ، بل أسهم في ذلك ملوك وأمراء آخرون من مناطق مختلفة .إن سياسة المماليك وسعيهم في إقامة علاقات طيبة مع بعض القوى المجاورة قد شجع هذه القوى لدعم وإقامة بعض الأعمال الخيرية في المدينة .إن ما يقدم من رعاية اجتماعية للمجتمع المدني حينذاك قد اتخذ مظاهر مختلفة وصوراً متعددة منها ما جاء على شكل دعم مادي نقدي أو عيني ، ومنها ما كان على هيئة دعم معنوي متنوع.
- .تجسدت الرعاية الاجتماعية التي حظي بها مجتمع المدينة إبان العصر المملوكي في ميادين متعددة ، ومجالات متنوعة ، شملت مناحي الحياة المختلفة لسكان المدينة ، وجاءت لتضم في مجملها ؛رعاية المحتاجين إقامة المرافق الخدمية والعناية بها ، دعم الحركة العلمية ، والحفاظ على الأمن، كان تأثير الرعاية الاجتماعية التي وجدها الفرد والمجتمع في المدينة واضحاً في تحسن الأحوال العامة للسكان .إن زيادة الدخل المادي للدولة المملوكية والذي اكتسبته من مرور التجارة العالمية بأراضيها قد ساعدها على تقديم الرعاية اللازمة لأتباعها ، كما وجد سلاطينها وأتباعهم من بلاد الحرمين فرصة مناسبة لتحقيق عدد من الأهداف من خلال البذل على الأماكن المقدسة وساكنيها .أن للرعاية الاجتماعية في هذا العصر أثراً بارزاً في استقطاب السكان للاستقرار في المدينة.
- كما ساعدت في تزايد المجاورين ، فضلاً عن وفود العلماء وطلاب العلم إليها. ازدادت في العصر المملوكي مخصصات الحرم النبوي والمرافق الخيرية في المدينة من الأوقاف وغيرها مما حُبس كموارد ثابتة في عدد من الأمصار الإسلامية.
- صاحبَ ذلك العصر نقلة حضارية امتدت لمعظم مناحي الحياة بعد أن حظي المجتمع المدني حينذاك بخدمات متنوعة أسهمت في رعاية أفراده وتوفير حياة كريمة لهم بمختلف طبقاتهم .أن لشيوخ المسجد النبوي وخدامه أثراً كبيراً في تقديم الكثير من أعمال البر ، فكانوا واسطة خير لإنجاز عدد كبير من والمنشآت الخيرية ، كما كان لجهودهم في سبيل الحفاظ على الأعمال المكتسبات القائمة ، ومنع التعدي عليها ، وحماية المستضعفين والدفاع عن حقوقهم أثر واضح في تحقيق العدالة وتحسين الأوضاع لأفراد المجتمع .إن استقرار الأوضاع في المدينة في أغلب الأوقات ، قد خلق جواً صحياً شجع أهل الخير على البذل ، وإقامة المنشآت الخيرية ، وأعمال البر المختلفة ، بعد أن ضمنوا- في ظل وتخصيص الأوقاف لوجوه الأمن

([254]) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ، ج4/ص345

([255]) عبد الرحمن بن مديريس: المدينة المنورة في العصر المملوكي ،ص197

([256]) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ،ص16

([257]) السمهودي: وفاء الوفاء ،ج2/ص725

والاستقرار- وصولها للهدف المرسوم ، وبقاءها أطول مدة ممكنة لتقدم خدماتها للمحتاجين،كان للاختلاف العقدي بين حكام المدينة والسلطة المملوكية أثر في زيادة رعاية المماليك لأصحاب المذهب السني في المدينة ، والحد من نفوذ المذهب الشيعي فيها في العصر المملوكي. إن بيئة المدينة الدينية وأوضاعها الداخلية إبان العصر المملوكي قد فرضت وجود عدد كبير من الفئات الاجتماعية المحتاجة للرعاية .

- شكل المجاورون في المدينة إبان العصر المملوكي أكبر شرائح المجتمع المدني ، كما حظوا بصنوف شتى من الرعاية المادية والمعنوية، لقيت المرافق التي تقدم خدماتها للفرد خاصة والمجتمع بصفة عامة في المدينة عناية فائقة على المستويين الرسمي والشعبي ، وفي سبيل ذلك عُمّرت مرافق جديدة ، ورصدت لها الأموال الكافية التي تضمن استمرارها في تأدية دورها ، كما عُني بالمرافق القائمة سواء بالتجديد والإصلاح والصيانة ، أو المحافظة على مواردها المالية التي تساعد على بقائها، أثمر اهتمام السلاطين المماليك بشؤون أهل الحجاز ، ومتابعتهم لسياسة أشرافه والسعي من أجل راحة الحجاج والقادمين إلى المقدسات عن نتائج جيدة ساعدت على الاستقرار المعيشي والأمني .
- كان للرعاية الاجتماعية المقدمة للجوانب الثقافية أثر في زيادة المناشط العلمية ، وتنوع الثقافات واختلاف مشاربها ، وتزايد أعداد المهتمين بالعلم ، وتكاثر وفود العلماء وطلاب العلم في المدينة حينذاك .تنامي الاهتمام المذهبي بعد أن تكاثر أتباع المذاهب الفقهية ، وتنافسوا فيما بينهم فيما يخدم العلم ، سواء من حيث التدريس ، أو السعي في إقرار بعض الدروس العلمية المدعومة في المسجد النبوي ، أو استحداث دروس فقهية متخصصة في بعض المدارس. شهدت المدينة في هذه العصر توسعاً عمرانياً لم تشهده قبل ذلك ، فتوسعت الخدمات والمرافق في المدينة ، وزادت أعداد المباني ، وتطورت فنون البناء .

أمل أن أكون قد ألقيت من خلال هذه الدراسة الضوء على جانب حضاري مهم من جوانب حضارتنا

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر

ابن إياس ، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣ م) بدائع الزهور في وقائع الدهور تحقيق ، محمد مصطفى ، القاهرة ط ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م

ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م) رحلة ابن بطوطة. بيروت: دار بيروت ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م

البلوي ، خالد بن عيسى (ت ٧٨٠ هـ/ ١٣٨٧ م) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق. تحقيق ، الحسن السائح ، المغرب: لنشر اللجنة المشتركة التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة

ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٧٠م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة القاهرة: نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م

ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧ م) رحلة ابن جبير. بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م

الجزيري ، عبد القادر بن محمد من أهل ق ١٠ هـ/ ١٦ الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة تحقيق حمد الجاسر ، ط ١ ، الرياض دار اليمامة ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا

بيروت ط ١ ، دار الكتب العلمية ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م

الجوهري ، الجوهري ، إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣ هـ/ ١٠٠٣ م الصحاح. بيروت ط ٣ ، دار العلم للملايين ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م إنباء الغمر بأبناء الغمر في التاريخ. بيروت ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. بيروت دار الجيل ، (د. ت).

ابن الحمصي ، أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري ت ٩٣٤ هـ/ ١٥٢٧ م

حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش ، بيروت: ط ١ ، دار النفائس ، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.

ابن رشيد الفهري محمد بن عمر السبتي ت ٧٢١ هـ/ ١٣٢١ م

ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة ، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة. بيروت: ط ١ ، دار الغرب ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م

الرومي ، محمد بن خضر الحنفي ت ٩٤٨ هـ/ ١٥٤١ م

التحفة اللطيفة في عمارة المسجد وسور المدينة الشريفة. طبع ضمن رسائل في تاريخ المدينة تحقيق حمد الجاسر الرياض دار اليمامة ، د. ت

السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦ م

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة عني بنشره ، أسعد طرابزوني الحسيني ، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م .

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت: دار مكتبة الحياة ، د. ت

السمهودي ، علي بن أحمد ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت: ط ٤ ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة: ط ١ ، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨ م.

ابن شاهين غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ت ٨٧٣ هـ/ ١٤٦٨ م

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. تحقيق ، بولس راويس ، باريس: ط ١ ، المطبعة الجمهورية ، ١٨٩٤ م.

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢م .
بيروت: دار إحياء التراث ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي
ابن ضياء المكي ،محمد بن أحمد ت ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠ م .
البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق تحقيق عبد الله نذير مزي. مكة المكرمة ط ١ ، المكتبة المكية ، بيروت: دار الريان ، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م
ابن طولون ، شمس الدين محمد بن طولون الصالحي ت ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦
متعة الأذهان في التمتع بالأقران تحقيق صلاح الدين خليل الشيباني الموصلي ، بيروت ط ١ دار صادر ، ١٩٩٩ م
العيدروسي عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ت ١٠٣٨ هـ
-النور السافر عن أخبار القرن العاشر بغداد: المكتبة العربية ١٩٣٤ م .
الغزي ، نجم الدين محمد بن محمد (١٠٦١ هـ/ ١٦٥١ م.(
-الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة. تحقيق: جبرائيل سليمان جبور ط ٢ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧٩ م.
الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٩ م.(
-العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين تحقيق ، فؤاد سيد ، بيروت: ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م .
ابن فرحون ، عبد الله بن محمد (ت ٧٦٩ هـ/ ١٣٦٧ م.(
-تاريخ المدينة المنورة المسمى نصيحة المشاور وتعزية المجاور. تحقيق حسين محمد علي شكري. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم ، (د. ت .(
ابن فهد ، عز الدين عبد العزيز بن عمر (ت ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م .(
-بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى تحقيق صلاح الدين بن إبراهيم خليل ، وآخرون القاهرة: ط ١ ، دار القاهرة ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥ م.
ابن فهد ، نجم الدين عمر بن فهد بن محمد المكي (ت ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م.(
-إتحاف الورى بأخبار أم القرى تحقيق ، فهيم محمد شلتوت ، مكة المكرمة ط ١ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣م الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ/ ١٤١٥ م.(
-القاموس المحيط. بيروت ط ١ ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
-المغانم المطابة في معالم طابة. تحقيق ، حمد الجاسر ، الرياض: ط ١ ، دار اليمامة ، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م .
القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م .(
-صبح الأعشى في صناعة الإنشا. شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين ، بيروت ط ١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
المراغي ، أبو بكر بن الحسين بن عمر (٨١٦ هـ/ ١٤١٤ م .(
-تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة. تحقيق ، محمد عبد الجواد الأصمعي. المدينة المنورة: ط ٢ ، المكتبة العلمية ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.
المرجاني ، عبد الله بن عبد الملك (ت ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨ م .(
-بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار تحقيق محمد عبد الوهاب فضل بيروت ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٢ م.
مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ/ ٨٧٤ م.(
-صحيح مسلم بشرح النووي. القاهرة ، ط ١ المطبعة المصرية ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٩ م.
المطري ، جمال الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠ م .(
-التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة تحقيق سليمان الرحيلي. الرياض: دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.
المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢ م .(
-درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة. تحقيق ، محمود الحليلي. بيروت: ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م. -
الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك. تحقيق ، جمال الدين الشيال مصر: مكتبة الخانجي ، بغداد: مكتبة المثنى ، ١٩٥٥ م .
ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م .(
-لسان العرب تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف ، القاهرة: دار المعارف ، (د. ت). النابلسي ، عبد الغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣ هـ/ ١٧٣١ م .(
-الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز القاهرة: ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م
عفاف إبراهيم الدباغ .
الوادي آشي محمد بن جابر (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م .(
-برنامج الوادي آشي. تحقيق ،محمد محفوظ ، بيروت: ط ٣ ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٢ م.

ابن النجار ، محمد بن محمود
)ت ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م.(
-اخبار مدينة الرسول تحقيق صالح محمد جمال مكة المكرمة: ط ٣ ، مكتبة الثقافة ، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .
النهروالي ، قطب الدين محمد بن أحمد (ت ٩٩٠ هـ/ ١٥٨٥ م.(
-الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا. مكة المكرمة: المكتبة التجارية ، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م .

ثانياً: المراجع :
أحمد هاشم بدر شيني .
-أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي (دراسة تاريخية وثائقية حضارية). المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م .
أحمد ياسين الخياري .
-تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً. المدينة المنورة: ط 1 ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م .
أنطوان خليل ضومط.
-الدولة المملوكية. بيروت: دار الحداثة،١٩٨٠م .
حياة ناصر الحجي .
-السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده .
الكويت: ط ١ ، مكتبة الفلاح ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م .
خالد عبد المحسن الجابري
-الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي. جدة: مؤسسة
الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤٢٦ هـ.
راشد بن سعد القحطاني.
-أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م .
سعيد عبد الفتاح عاشور.
-العصر المماليكي في مصر والشام. القاهرة: ط ٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٤ م .
صالح بن عبد الله بن حميد.
-الرعاية الاجتماعية في الإسلام. الرياض: مركز الأمير سلمان الاجتماعي ، ١٤١٨ هـ. صالح بن مده الجدعاني.
-المدينة وشمال الحجاز في كتب الرحلات خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين. (رسالة ماجستير) ، الرياض: كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٢٧ هـ .
عبد الحسين مهدي الرحيم
-الخدمات العامة في بغداد (٤٠٠- ٦٥٦ هـ/ ١٠٠٩- ١٢٥٨ م). بغداد طا ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٧ م .
عبد الرحمن بن مديرس المديرس
-المدينة المنورة في العصر المملوكي. الرياض: ط ١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م .
عبد السلام هاشم حافظ
-المدينة المنورة في التاريخ (دراسة شاملة). المدينة المنورة ، ط 3 ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.
عبد العزيز الخياط .
-المجتمع المتكافل في الإسلام بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .
عبد العزيز بن راشد السنيدي
-المجاورون في مكة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (٥٧٠- ٦٦٠ هـ). مكة المكرمة: جامعة أم القرى الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م .
عبد اللطيف إبراهيم.
-وثائق الوقف على الأماكن المقدسة. الرياض: دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول (مصادر تاريخ الجزيرة العربية) ، جامعة الرياض ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م .
عفاف إبراهيم الدباغ.
-المنظور الإسلامي لممارسة الخدمة الاجتماعية. الرياض: ط ١ ، مكتبة المؤيد ، ١٤١٥ هم ١٩٩٤ م .
علي بن موسى الأفندي .
وصف المدينة المنورة (طبع ضمن رسائل في تاريخ المدينة). تحقيق حمد الجاسر الرياض: دار اليمامة ، (د. ت .(
عوف محمود الكفراوي .
-الآثار الاقتصادية والاجتماعية للإنفاق العام في الإسلام الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ م.

ماهر أبو المعاطي علي
-مقدمة في الرعاية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية حلوان: جامعة حلون ، ١٩٩٩ م. محمد أحمد الصالح .
-الرعاية الاجتماعية في الإسلام وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية. الرياض: ط ١ ، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م .
محمد سيد فهمي .
-مدخل إلى الرعاية الاجتماعية من منظور إسلامي. الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث ، ٢٠٠٠ م .
محمد عبد الله آل عمرو.
-التعليم في الحجاز في العصر المملوكي ٦٤٨- ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠.
١٥١٧ م. (رسالة دكتوراه) ، مكة المكرمة: كلية التربية ، جامعة أم القرى ١٤١٨ هـ .
محمد عزمي صالح .
-الرعاية الاجتماعية لليتامى في الإسلام (دراسة مقارنة) القاهرة طا ، مكتبة وهبة ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

محمد محمد أمين .

-الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣ هـ (دراسة تاريخية وثائقية). القاهرة: ط ١ ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٠ م .
مختار إبراهيم عجوبة.
-الرعاية الاجتماعية وأثرها على مداخل الخدمة الاجتماعية المعاصرة الرياض: ط ١ ، دار العلوم ، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

مصطفى أحمد محمد حسان .
-الرعاية الاجتماعية في الإسلام ، ضمن أبحاث ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام). القاهرة: ط ١ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م .
منبر حميد البياتي.
-النظم الإسلامية الأردن: ط ١ ، دار وائل ٢٠٠٦م
هدى محمد سعيد سندي .
-موارد السمهودي ومنهجه التاريخي في كتابه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (رسالة ماجستير) ، مكة المكرمة: جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٠ هـ

First: Sources

- Achieving victory by summarizing the features of Dar al-Hijrah. Investigation, Muhammad Abd al-Jawad al-Asma'i. Medina: 2nd edition, Scientific Library, 1401 AH/1981 AD.
- Al-Aidrusi Abdul Qadir bin Sheikh bin Abdullah (d. 1038 AH)
- Al-Durar Al-Fa'arid organized in the news of Hajj and the route to Mecca.Verified by Hamad Al-Jasser, ed., Riyadh, Dar Al-Yamamah, 1403 AH / 1983 AD.
- Al-Fasi, Taqi al-Din Muhammad bin Ahmed bin Ali (d. 832 AH/1429 AD).
- Al-Ghazi, Najm al-Din Muhammad bin Muhammad (1061 AH/1651 AD).
- Al-Jawhari, Al-Jawhari, Ismail bin Hammad (d. 393 AH/1003 AD).
- Al-Jaziri, Abdul Qadir bin Muhammad (from the people of Q10 AH/16 AD).
- Al-Maraghi, Abu Bakr bin Al-Hussein bin Omar (816 AH / 1414 AD).
- Al-Murjani, Abdullah bin Abdul Malik (d. 770 AH / 1368 AD).
- Al-Nour Al-Safir on the news of the tenth century, Baghdad: The Arab Library, 1934 AD.
- Al-Qalqashandi: Abu Al-Abbas Ahmad bin Ali (d. 821 AH / 1418 AD).
- Al-Rumi, Muhammad bin Khidr al-Hanafi (d. 948 AH / 1541 AD).
- Al-Sakhawi, Shams al-Din Muhammad bin Abdul Rahman (d. 902 AH/1496 AD).
- Al-Samhudi, Ali bin Ahmed (d. 911 AH / 1505 AD).
- Al-Wafi with deaths. Verified by Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa,
- Beirut: Dar Ihya al-Turath 1420 AH/2000 AD.
- Bulugh al-Qura fi Dhayl Ithaf al-Wari bi Akhbar Umm al-Qura, edited by Salah al-Din bin Ibrahim Khalil, and others, Cairo: 1st edition, Cairo House 1425 AH/2005 AD.
- Deposits of Flowers in the Chronicles of Ages, edited by Muhammad Mustafa, Cairo: 2nd edition, Egyptian General Book Authority, 1403 AH/1983 AD Ibn Battuta, Muhammad bin Abdullah bin Muhammad (d. 779 AH/1377 AD).
- Filling the defect with what was collected during the length of absence on the right destination to the Two Holy Mosques, Mecca and Thebes, verified by: Muhammad Al-Habib bin Al-Khoja. Beirut: Dar Al-Gharb, 1408 AH/1988 AD.
- Good lecture on the history of Egypt and Cairo. Verified by, Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Cairo: ed., (d. n.), 1387 AH/1968 AD. Ibn Shaheen Ghars al-Din Khalil bin Shaheen al-Zahiri (d. 873 AH/1468 AD).
- Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali (d. 597 AH/1200 AD).
- Ibn Battuta's journey. Beirut: Dar Beirut, 1400 AH/1980 AD. Al-Balawi, Khalid bin Issa (d. 780 AH / 1387 AD).
- Ibn Diya al-Makki, Muhammad bin Ahmad (d. 854 AH / 1450 AD).
- Ibn Fahd, Izz al-Din Abdul Aziz bin Omar (d. 922 AH/1516 AD).
- Ibn Fahd, Najm al-Din Omar bin Fahd bin Muhammad al-Makki (d. 885 AH/1480 AD).
- Ibn Farhun, Abdullah bin Muhammad (d. 769 AH / 1367 AD).
- Ibn Iyas, Muhammad bin Ahmed (d. 930 AH/1523 AD).
- Ibn Jubayr, Muhammad bin Ahmed Al-Kinani (d. 614 AH / 1217 AD).

- Ibn Taghri Bardi, Abu al-Mahasin Yusuf bin Taghri Bardi (d. 874 AH/1470 AD).
- Incidents of time and deaths of sheikhs and peers, edited by Abdul Aziz Fayyad Harfush, Beirut: ed., Dar Al-Nafais, 1421 AH/2000 AD. Ibn Rashid Al-Fihri Muhammad bin Omar Al-Sabti (d. 721 AH / 1321 AD).
- Ithaf Al-Wari bi Akhbar Umm Al-Qura, investigation by Fahim Muhammad Shaltut, Mecca Al-Mukarramah, Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Umm Al-Qura University, 1404 AH / 1983 AD Al-Fayrouzabadi, Majd al-Din Muhammad bin Yaqoub (d. 817 AH / 1415 AD).Ocean dictionary. Beirut, 1st edition, Al-Resala Foundation, 1406 AH / 1986 AD.The spoils gained in the landmarks of Tabah. Edited by: Hamad Al-Jasser, Riyadh: 1st edition, Dar Al-Yamamah, 1389 AH/1969 AD.
- Mecca, Beirut: Dar Al-Rayyan, 1427 AH/2006 AD. Ibn Tulun, Shams al-Din Muhammad ibn Tulun al-Salhi (d. 953 AH/1546 AD).
- News of the immersion of the sons of immersion in history. Beirut: 2nd edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1406 AH/1986 AD. -The pearls hidden in the notables of the eighth century. Beirut: Dar Al-Jeel, (D. T.). Ibn al-Homsi, Ahmed bin Muhammad bin Omar al-Ansari (d. 934 AH/1527 AD).
- Regular in the history of kings and nations. Investigation: Muhammad Abdel Qader Atta and Mustafa Abdel Qader Atta. Beirut: I.A., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah 1412 AH / 1992 AD.
- Sahih. Beirut: 3rd edition, Dar Al-Ilm Lil-Millain, 1404 AH/1984 AD. Ibn Hajar Al-Asqalani, Ahmed bin Ali bin Hajar (d. 852 AH / 1448 AD).
- Sobh Al-Asha in the construction industry. Explanated and commented on by: Muhammad Hussein Shams al-Din, Beirut, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1407 AH/1987 AD.
- Taj Al-Mafraq in the analysis of the scholars of the East. Investigation, Al-Hassan Al-Sayeh, Morocco: Joint Committee for the Dissemination of Islamic Heritage between the Kingdom of Morocco and the United Arab Emirates, (D. T.).
- The beautiful masterpiece in the architecture of the mosque and the wall of the honorable city. (Published in Letters on the History of Medina, edited by Hamad Al-Jasser, Riyadh:Dar Al-Yamamah, (D. T.).
- The Bright Stars in the Kings of Egypt and Cairo, Cairo: an illustrated copy published by Dar al-Kutub, 1383 AH/1963 AD.
- The brilliant light of the people of the ninth century. Beirut: Al-Hayat Library House, (D. T.).
- The Deep Sea in the Rituals of the Umrah pilgrim and the pilgrim to the ancient House of God, edited by Abdullah Nazir Mazi. Mecca: 1st edition, Library
- The essence of revealing kingdoms and explaining roads and paths. Edited by Paul Royce, Paris: 1st edition, Press de la République, 1894 AD. Al-Safadi, Saladin Khalil bin Aybak (d. 764 AH / 1362 AD).
- The gentle masterpiece in the history of the honorable city, published by me, Asaad Tarabzouni Al-Husseini, Cairo: 1399-1400 AH / 1980 AD.
- The history of Medina called Advice to Counselors and Consolation to Neighbors. Verified by Hussein Muhammad Ali Shukri. Beirut: Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam, (ed. T.).
- The Journey of Ibn Jubayr. Beirut: Dar Beirut 1399 AH/1979 AD.
- The joy of souls and secrets in Tari
- The planets moving with the signs of the tenth century. Investigation: Gabriel Suleiman Jabour, 2nd edition, New Horizons House, Beirut 1979 AD.
- The pleasure of the mind in the enjoyment of companions, edited by Salah al-Din Khalil al-Shaybani al-Mawsili, Beirut, 1st edition, Dar Sader, 1999 AD.
- The Precious Decade in the History of the Faithful Country, edited by Fouad Sayyed, Beirut: 2nd edition, Al-Resala Foundation, 1405 AH/1985 AD.

Wafaa al-Wafa Akhbar Dar al-Mustafa, investigation, Muhammad Mohi al-Din Abd al-Hamid, Beirut: 4th edition, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1404 AH/1984 AD. Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman (d. 911 AH/1505